الباطنية الحديثة

نقد الألحاد الروحى حركة العصر الجديد
السحر فى ثوبه الجديد

تأليف

آدم عادل رشاد

إلى روح والدي طيَّب الله ثراه وجعل الفردوس الأعلى مثواه إلى من غرس في قلبي نبتة التوحيد صافية، وعلمني أن العقيدة حصن لا يُساوم عليه إلى ذكراك العطرة التي لا تفارق صالح دعائي أُهدي ثمرة هذا الجهد، راجياً من الله العلي القدير أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله علماً نافعاً وصدقة جارية تثقل ميزان حسناتك، وأن يجمعنا بك في مستقر رحمته

المقدمة

صنم العصر الحديث معركة الوعي وتحصين العقيدة والعقل

في زمن تكالبت فيه الماديات، وتعاظمت فيه ضغوط الحياة لتترك في نفوس الكثيرين فراغاً روحياً موحشاً، زحفت نحو مجتمعاتنا الإسلامية موجة فكرية شديدة المكر والخطورة موجةٌ لم تأتِنا على ظهور الدبابات، بل تسللت بنعومة فائقة عبر شاشات الهواتف، وقاعات التدريب الأنيقة، وعيادات الاستشفاء المزعوم لقد لبست هذه الموجة عباءة التنمية الذاتية، وتدثرت بغلاف الطب البديل، ورفعت شعارات براقة كالارتقاء بالوعي، والبحث عن السلام الداخلي، والطاقة الإيجابية لكن المفتش في بطانتها والمحلل لجذورها، يدرك بيقين مرعب أنها ليست سوى الوثنية القديمة وقد نُفض عنها غبار المعابد الآسيوية، وأُعيد تغليفها في كبسولات حداثية لتخترق حصون أمتنا إننا لا نواجه مجرد صرعة ثقافية عابرة، بل نقف أمام غزو عقدي وفكري ممنهج يستهدف اجتثاث الفطرة السوية، وتدمير البنيان المرصوص لعقيدة التوحيد التي بُعث بها سيد المرسلين.

ومن المنظور العقدي والشرعي، يمثل هذا الفكر الوافد ارتداداً مفزعاً نحو جاهلية جديدة، ومصادمة صريحة لأصل الأصول: إفراد الله بالعبادة والقصد والتوكل إن ما يُسمى بـ «علوم الطاقة» وتطبيقاتها كقانون الجذب والشاكرات والمانترا، تعمل بخبث على إزاحة الخالق العظيم من قلب المسلم، لتزرع مكانه وثن «الكون» والأسباب الوهمية إنها تنقل العبد من مقام الافتقار إلى الله، إلى مستنقع تأليه الذات والاعتقاد بأن الإنسان هو خالق أقداره ومحقق أمنياته بذبذباته ووعيه وفي حقيقتها، ليست هذه الممارسات سوى استنساخ لعقيدة «وحدة الوجود» الكفرية التي تمحو الفارق بين الخالق والمخلوق، وإحياء لطقوس السحر والكهانة والتواصل مع الشياطين تحت مسميات ناعمة كالتأمل والرسائل الكونية إن المسلم المخدوع بهذه الطقوس قد ينسلخ من توحيده، ويقع في الشرك الأكبر أو الأصغر، وهو يظن مسكيناً أنه يمارس مجرد رياضة ذهنية أو يبحث عن طمأنينة نفسية.

أما على الصعيد العلمي والمنطقي، فإن هذا الكتاب يطلق تحذيراً صارماً ضد أكبر عملية «دجل علمي» وتجارة بالوهم يشهدها عصرنا لقد استغل دجاجلة العصر آلام المرضى، ويأس المبتلين، وتعلق المحبطين بأي قشة، ليبيعوهم سراب الشفاء بالطاقة الكونية والأحجار والترددات؛ وهي ممارسات نسفها العلم التجريبي من أصولها، وصنفتها المجامع الأكاديمية والمؤسسات الطبية الرصينة حول العالم كـ «علوم زائفة» لا رصيد لها من الحقيقة إن الترويج لهذه الخرافات يمثل جريمة طبية وأخلاقية، تدفع المرضى للتخلي عن الأسباب الدنيوية المشروعة والعلاجات الطبية الناجعة، ليركضوا خلف خيالات تُمرض الأجساد، وتُتلف الخلايا العصبية، وتُدخل أصحابها في نوبات من الهلاوس والاكتئاب التي قد تنتهي بالانتحار إننا أمام اختطاف للعقل البشري، وإلغاء لملكة النقد والتفكير التي كرم الله بها بني آدم.

ولا تتوقف شظايا هذه الكارثة عند حدود العقيدة والجسد، بل تنفجر بعنف داخل النسيج الاجتماعي والأسري لتُمزقه إرباً لقد صنعت فلسفة الطاقة والوعي الزائف جيلاً مشبعاً بالنرجسية المتطرفة، والأنانية المفرطة، حيث أصبح الفرد يرى نفسه محور الكون وغايته وباسم «التخلص من الطاقة السلبية» و«الاستحقاق العالي»، تُهدم اليوم بيوت مستقرة، وتُقطع أرحام أمر الله بها أن تُوصل، ويتمرد الأبناء على الوالدين بحجة اختلاف الترددات والوعي! والأبشع من ذلك، أن هذه الفلسفات

وفرت غطاءً روحانياً مقدساً لتبرير الرذيلة والانحلال الأخلاقي؛ فباسم خرافات كـ «توأم الشعلة»، تُشرعن الخيانات الزوجية، وتُبرر العلاقات الشاذة والمحرمة، لتنهار مؤسسة الأسرة المسلمة التي هي الحصن الأخير للمجتمع، وتذوب في بحر من الفوضى الأخلاقية المقنعة بالروحانيات.

لأجل كل ما سبق، لم يُكتب هذا الكتاب ترفاً فكرياً أو جدلاً فلسفياً، بل كُتب ليكون صرخة نذير، ومشرطاً جراحياً يستأصل هذا الورم الخبيث قبل أن يستشري في عقول أبنائنا وبناتنا إنه وثيقة نقدية صارمة، تجمع بين جلال الوحي الرباني، وقواطع العلم التجريبي، لكشف عوار هذه الفلسفات، وفضح أصولها الوثنية، وتعرية مساعي المدلسين لأسلمتها إنها دعوة صادقة للعودة إلى نبع الوحي الصافي، وإلى رحاب التوحيد الخالص، حيث الطمأنينة الحقيقية التي لا تُشترى بترددات ولا تُجلب بتعاويذ، بل تُنال بسجدة صادقة لرب العالمين، وبيقين راسخ بأن الأمر كله لله من قبل ومن بعد.

الفصل الأول

الباطنية الحديثة عباءة قديمة بثوبٍ عصري

في عمق التاريخ الإنساني، برزت الباطنية كمذهب فكري شديد الخطورة يرفع شعار امتلاك الحقيقة الخفية والمعرفة اللدنية الخاصة، حيث زعم أتباع هذا المذهب، على اختلاف حقبهم، أن وراء كل نص ديني ظاهراً وباطناً، وأن النصوص المقدسة لا تُفهم كما هي بدلالاتها اللغوية الواضحة، بل تحتاج إلى نُخبة مستنيرة تكشف أسرارها المكتومة فكانت هذه النزعة التأويلية الفاسدة عبر التاريخ باباً واسعاً لتحريف العقائد، وتبديل معاني الوحي، وإعطاء سلطة مطلقة للإنسان ليفسر الدين الإلهي وفق هواه متجاوزاً مراد الخالق ورغم اندثار تلك الحركات في شكلها التقليدي الموغل في القدم، إلا أن الباطنية لم تمت؛ بل عادت وتناسخت في ثوبٍ جديد، وباسمٍ أكثر جاذبية، وملامح تبدو أكثر تحضراً وتماشياً مع لغة العصر، لتُعرف اليوم باسم الباطنية الحديثة، أو ما يُطلق عليه في الدوائر الغربية مصطلح حركة العصر الجديد.

وتحت شعارات براقة تداعب طموحات الإنسان المعاصر وتلعب على أوتار رغباته، مثل قانون الجذب، والطاقة الكونية، والوعي الأعلى، وتوأم الشعلة، وصولاً إلى وهم الاستنارة، أُعيد إنتاج جوهر الفكر الباطني الوثني القديم في هذا النموذج المحدث، والمغلف بقشرة من العلم الزائف، صار الإنسان هو محور الكون ومُدبر أمره، وصار مصطلح الطاقة بديلاً مبطناً عن الإله الخالق، وصار الوعي الذاتي بديلاً عن الروح والإيمان بالغيب تُقدَّم هذه الأفكار المسمومة اليوم في صورة دورات لتطوير الذات، أو جلسات تأمل تجاوزي، أو من خلال كتب تتصدر المبيعات العالمية تحمل عناوين براقة تروج لأسرار الجذب وقوة اللحظة الحالية لكن الباحث المدقق يدرك أن هذه الممارسات تغرس في وعي المتلقي للمتلقي فكرة إلحادية محورية؛ وهي أن الإنسان يملك القدرة المطلقة على أن يصنع واقعه بنفسه ويتحكم في أقداره بمجرد التفكير، دون أية حاجة للجوء إلى خالقه والافتقار إليه وهذا هو لبّ الباطنية القديمة بعينه: صرف الإنسان عن التوحيد الخالص، وجره تدريجياً إلى مستنقع تأليه الذات وعبادتها من دون الله.

وتتسم هذه الباطنية الحديثة بمكرٍ شديد يجعلها أشد فتكاً من الإلحاد المادي الصريح؛ فهي لا تُعلن عداءها للأديان السماوية، بل تسعى لاختراقها وتجاوزها وتمييع ثوابتها خطابها الناعم لا يقول للمرء اترك دينك، بل يدندن حول مفاهيم نسبية تذيب الفوارق العقدية، مدعية أن كل الأديان صحيحة، وأن الإله يتجلى في داخلك، وأنك أنت الكون والكون أنت إنها تؤسس لما يمكن تسميته بفلسفة ما بعد الدين، والتي تُعرف أكاديمياً بالإلحاد الروحي، حيث يتحول الإيمان من عقيدة وشريعة منزلة إلى مجرد تجربة شعورية شخصية بلا وحي حاكم، وتُبدل مفهوم العبادة من الخضوع والتسليم لله رب العالمين إلى مجرد التوافق والتناغم مع ما يسمى بالطاقة الكونية وهكذا، تتسرب الباطنية ببطء إلى النفوس عبر بوابات تبدو في ظاهرها بريئة كجلسات التأمل، واليوجا، وترديد المانترا الوثنية، وممارسات العلاج بالطاقة، فتخاطب الفطرة والحنين الروحي لدى الإنسان المادي الذي أرهقته الحياة المعاصرة، لكنها في النهاية تسقيه من ينبوع باطل يُفسد عقيدته ويقطع صلته بالسماء.

ولم يكن صعود هذا التيار وليد اللحظة أو مجرد اجتهادات فردية، بل إن حركة العصر الجديد هي في جوهرها طريقة عملية مبطنة لنشر فكرهم العقدي وفلسفتهم القائمة على الإلحاد الروحي ووحدة الوجود، ولكن في قالب جذاب وبطابع التدريب والتطبيق والممارسة الحياتية، هرباً من طابع التنظير والفلسفة والدين المعقد الذي قد ينفر منه العوام هذه الفلسفة القائمة على وحدة الوجود مثّلت في العصر الحديث توجهاً قوياً في الغرب، تبناه فلاسفة ومفكرون بصور شتى، وظهرت لنشره عدة جمعيات تبلورت عبر محطات تاريخية متصلة أبرز تلك المحطات ما كان في القرن التاسع عشر الميلادي متمثلاً في حركة الفكر الجديد التي أتى بها فينياس كويمبي واضعاً اللبنات الأولى لترويج فكرة الشفاء العقلي، ثم تلتها الجمعية الثيوصوفية في نيويورك التي أسستها هيلينا بلافاتسكي ومزجت فيها بين السحر والروحانيات الشرقية.

وأخيراً حركة العصر الجديد وحركة الوعي التي خرجت من معهد إيسلن بكاليفورنيا، والذي كان محتضناً لفكر الثيوصوفية لقد تبنى رواد هذا المعهد البحث في قوى الإنسان الكامنة، وتتبعوا العقائد والفلسفات التي تحرر هذه القوى من إسار المعتقدات الدينية التي يصفونها بغير العقلانية، ويقصدون بها الأديان السماوية القائمة على التسليم للوحي وعكفوا على النظر في كيفية نشر الفكر الروحاني باعتباره بديلاً حديثاً عن الدين بين العامة والخاصة، بطرق متنوعة ومعاصرة وجماهيرية وتطبيقية مباشرة، وبمنهج جديد خبيث لا يصادم الفكر الديني السماوي ويواجهه علانية، وإنما يداهنه ويزاحمه تحت شعار حركة القدرة البشرية الكامنة، والتي كانت بريادة شخصيات مثل كارلوس كاستنيدا ومؤسسي معهد إيسلن مايكل ميرفي وريتشارد برايس.

ولكي يُفهم هذا المشروع الباطني على حقيقته، لابد من وضعه في سياقه السنني والغيبي الأوسع، فهذا المشروع في الأساس يأتي عبر الزمن وفق أجندة معينة ومدروسة هذه الأجندة لابد أن تُفهم في سياق واضح أرساه الوحي؛ وهو أن الله عز وجل أخبرنا من أول الخليقة أن هناك شيطاناً، وهذا الشيطان يترصد الإنسان ترصداً دؤوباً، كما ورد في قوله تعالى حكاية عن إبليس: {ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ} [الأعراف: 17] وكما جاء في الحديث الشريف: "إنَّ الشَّيطانَ قعد لابنِ آدمَ بطرقِه"، فالشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه.

فهو مترصد ومتربص في كل خطوة، يعطي فكرة خبيثة سيبني عليها مخططاً بعد مائة عام، ولا يتعجل النتائج وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مثال ناصع عن كيفية تمرير فكرة أوحى بها الشيطان ليصل بالبشرية إلى عبادة غير الله عز وجل، وتبديل الله بآلهة أخرى تُعبد من دونه فالشيطان يأتي لجيل معين من أبناء ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر بفكرة تبدو في ظاهرها حسنة أن هؤلاء الناس الصالحين قد يُنسوا، وهم يذكروننا بالله عز وجل، فلنبنِ لهم أنصاباً وتماثيل وبالفعل لم تُعبد تلك الأنصاب في جيل الآباء ولا الأحفاد الأوائل، ولكنها عُبدت لاحقاً حين نُسي أصلها فعن ابن عباس رضي الله عنهما في بيان أصل الشرك قال: «صَارَتِ الأوْثَانُ الَّتي كَانَتْ في قَوْمِ نُوحٍ في العَرَبِ بَعْدُ أسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِن قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أوْحَى الشَّيْطَانُ إلى قَوْمِهِمْ: أنِ انْصِبُوا إلى مَجَالِسِهِمُ الَّتي كَانُوا يَجْلِسُونَ أنْصَابًا، وسَمُّوهَا بأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حتَّى إذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»

وبهذه المنهجية المتدرجة يُبنى المخطط ثم يُؤسس له بعد عشرات السنوات هنا اشتغل الشيطان في العالم الحديث، وبدأ يؤسس لفكرة تغيير الثوابت العقائدية مع الزمن؛ فيأتي في ديانة فيعظم فيها نبياً حتى يُؤله، ويعظم فيها صالحاً حتى تُقدم له الطاعات، وفي أجيال تالية يُعظم فيها الطبيعة والكون نفسه ليكون هو المعبود الخفي تحت مسمى الطاقة الكونية وقوانين الجذب وتسير معادلة الشيطان وآلية عمله مع ممارسي هذه الطقوس الباطنية على نحو ثابت وخطير؛ إذ تبدأ المسألة بخواطر تُلقى في العقل، وهذه الخواطر عندما تأتي الإنسان فإنها مجرد وساوس، لكن عندما يُقدم المرء هدية أو ما يُسمى بالقربان لهذا الشيطان، حينها تتحول الخواطر إلى إمداد خارق عبر هذا القربان الوسيط أو العامل المحفز هنا هو القربان العملي، وهذه المعادلة سارية مع الجميع بلا استثناء الشيطان لا يعرف تجديداً ولا يجدد نفسه، بل يُجري نفس المعادلة مع كل أحد؛ تأتي خاطرة، فيُقدم الإنسان قرباناً متمثلاً في التطبيق والعمل بالخاطر والامتثال للممارسة الباطنية، فتتحول تلك الخاطرة إلى مدد وقدرة وهمية من الشيطان فشرط الكهانة والإلحاد الروحي، يُبنى كله على أمرين متلازمين خاطر ومدد الخاطر يتمثل في قوله تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ}، فله وحي خاص به يلقيه في روع أتباعه والمدد يتمثل في قوله تعالى: {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ}، فقد جعل الله للشيطان سلطاناً بقدرٍ على من يتولاه ويطيعه إذن، معادلة الشيطان هي ثلاثية حتمية خواطر، يعقبها قربان، لتثمر في النهاية مدداً من الشيطان.

أصل نشأة علوم الطاقة وفلسفتها الباطنية

للغوص في أعماق ما يُسمى اليوم بعلوم الطاقة، وتفكيك بنيتها الفكرية، لابد من تتبع خيوطها الأولى التي تضرب بجذورها في أراضي الفلسفات والديانات الشرقية القديمة فمنذ آلاف السنين، آمن أتباع تلك الديانات الوثنية بوجود قوة كونية غيبية تسري في كل شيء في الوجود، زاعمين أنها المحرك الخفي للكون والكائنات وقد أطلقوا على هذه القوة الموهومة أسماء متعددة باختلاف جغرافيتهم؛ ففي الفلسفة الطاوية بالصين سُميت قوة التشي، وفي الهندوسية الهندية عُرفت باسم البرانا، بينما أطلق عليها في اليابان مصطلح الكي وكل هذه المسميات تتقاطع في معنى واحد يمثل طاقة الحياة المزعومة، التي يعتقدون أنها تمتلك قدرات استشفائية خارقة، وتؤثر بشكل مباشر على الجسد والعقل والمصير إذا ما تمكن الإنسان من السيطرة عليها والتحكم في مساراتها ولم تكن هذه المعتقدات مجرد أفكار فلسفية مجردة، بل كانت تُمارس وتُفعل من خلال طقوس تأملية معقدة، وسجودات خاصة لكواكب أو قوى طبيعية، يصاحبها ترديد مستمر لتعويذات وأصوات محددة يُقال إنها تجذب هذه الطاقة وتفتح مساراتها ومراكزها في الجسد، وهي ذات الممارسات القديمة التي نُفض عنها غبار التاريخ وتطورت لاحقاً لتُعرف في عصرنا الحالي بمسميات حداثية مثل العلاج بالريكي، والتأمل التجاوزي، وفتح مراكز الشاكرات، وصولاً إلى خرافة قانون الجذب.

ولم تقف هذه المعتقدات الوثنية حبيسة معابد الشرق، بل شهد القرن العشرون حركة نشطة لنقلها إلى الغرب، حيث خضعت لأكبر عملية إعادة تدوير وتغليف في التاريخ المعاصر فقد أدرك مروجو حركة العصر الجديد أن العقل الغربي المادي لن يتقبل طقوساً دينية شرقية بشكلها الخام، فعمدوا إلى تقديم هذه المفاهيم في صورة أكثر قبولاً وعلمانية، تحت مسميات براقة مثل العلاج بالطاقة، وقراءة الهالة، والتنمية الذاتية الروحية ولإضفاء طابع الموثوقية على هذه الخرافات، تلقفها بعض المدربين والكتاب وقاموا بدمجها قسراً مع مصطلحات مسروقة من قاموس الفيزياء الحديثة وميكانيكا الكم، فبدؤوا يتحدثون عن الذبذبات، والمجال الكهرومغناطيسي، والطاقة الكونية والترددات وبذلك، بدت هذه التطبيقات أمام العوام وكأنها فروع من علم حديث ومثبت، بينما هي في حقيقتها العارية مجرد مزيج هجين من الفلسفات الوثنية والتأملات الباطنية، تم إلباسها قسراً معطف المختبر وتغليفها بلغة علمية مزيفة ومضللة لا تعترف بها الأوساط الأكاديمية ولا تخضع لأي منهج تجريبي حقيقي.

ومع الطفرة الهائلة في عالم الإنترنت والانفتاح غير المسبوق لسوق الدورات التدريبية، تسللت هذه الأفكار المسمومة بخفة ومكر إلى قلب بلاد المسلمين لقد دخلت بيوتنا وعقول شبابنا في قوالب جذابة ومسميات إيجابية تدعو للنجاح والسلام الداخلي، من دون أن يدرك الكثيرون من المنساقين خلفها ما تنطوي عليه من انحرافات عقدية تمس صميم العقيدة الإسلامية فهذه الدورات تزرع في اللاوعي الاعتقاد بأن الكون كيان عاقل يستجيب لنية الإنسان، وأن الفرد يمتلك قدرة مطلقة على خلق واقعه وتشكيل مستقبله بمجرد التفكير الإيجابي أو التخيل العميق وهي عقائد خطيرة تنسف في جوهرها الإيمان بقضاء الله وقدره، وتلغي مفهوم الافتقار إلى الخالق والتوكل عليه، لتستبدل ذلك كله بتعظيم المخلوق وجعله نداً يتصرف في الكونيات، بل وتجعل من الكون نفسه بديلاً عن الله في تلبية الحاجات وإجابة الدعوات.

وإذا ما أمعنا النظر في الفلسفة الباطنية العميقة التي تقف خلف ما يُسمى بعلوم الطاقة، سنجد أنها ترتكز أساساً على عقيدة فاسدة ترى أن الكون كله كيان واحد متصل لا انفصال فيه، وأن الإنسان ليس سوى جزء من هذه الطاقة الكونية الشاملة، أو شرارة منها، وبالتالي فهو قادر، بزعمهم، على التحكم في واقعه وتغيير مصيره وتطويع الأقدار عبر ضبط ذبذباته وتوجيه نياته وهذه الفكرة تحديداً هي ما يُعرف في الفلسفة الباطنية والتصوف الفلسفي المذموم بعقيدة وحدة الوجود، وهي عقيدة كفرية صريحة تلغي التمييز الفطري والشرعي بين الخالق الأزلي والمخلوق الحادث، وتجعل من الخالق والمخلوق شيئاً واحداً هذا الانحراف العقدي الخطير يفتح الباب واسعاً أمام ممارسات السحر والشرك وادعاء علم الغيب تحت مسميات الاستنارة وقراءة الحقول الطاقية ولذلك، فإن كل من يمارس هذه الطقوس، ولو كان ذلك بحسن نية أو رغبة مجردة في الاستشفاء، فإنه ينخرط عملياً في منظومة فكرية منحرفة تخالف التوحيد الخالص، حتى وإن زُينت له بمسميات ناعمة كالتأمل أو الشفاء الروحي فالقاعدة الشرعية والعقلية تقرر أن كل ممارسة تقوم على استدعاء طاقة غير مرئية لا سند لها في العلم التجريبي المادي، أو تعتمد على قوى غيبية وتأثيرات خفية خارج نطاق الأسباب الشرعية المأذون بها في الوحي، هي ضرب من ضروب الكهانة الحديثة، وباب من أبواب السحر والضلال الذي يفسد على الإنسان دينه ودنياه.

الفصل الثانى

منظومة العلاج بالطاقة تشريح علمي وعقدي

اليوجا والتأمل السكوني هندسة اختراق الوعي واستجلاب الشياطين

ولما كانت الفلسفات لا تعيش في فراغ، بل تحتاج إلى قوالب عملية تُمرر من خلالها، برزت اليوجا كأحد أخطر التطبيقات المباشرة للتأملات البوذية والتأمل السكوني المتجذر في فلسفات شرق آسيا كالبوذية والهندوسية والطاوية وهنا يجب تحرير المصطلحات لفك هذا الاشتباك المفاهيمي؛ فالتأمل عند هؤلاء، وعند مروجي العلاج بالطاقة في زماننا، يختلف جذرياً عن التأمل بمعناه الإسلامي الراقي التأمل في الإسلام عبادة واعية تعني تدبر مخلوقات الله، والتفكر في حكمته، والنظر بعين البصيرة في بديع صنعه ليزداد إيمان العبد بيقين واعٍ أما التأمل في الفلسفات الشرقية فهو نقيض ذلك تماماً؛ إذ يُقصد به السكون التام، وتجميد العقل، وتفريغ الذهن قسراً من أي شاردة أو واردة، بهدف الوصول إلى مرحلة اللاوعي للاتحاد بالروح الكلية أو الإله المزعوم.

وفي عمق هذه الممارسات، تبرز في البوذية جلسة شهيرة تُعرف بـ «جلسة اللوتس»، حيث يُطلب من الممارس أن يبقى جالساً في سكونٍ مميت لساعات طوال قد تمتد إلى ثماني عشرة ساعة متواصلة، يمتنع فيها تماماً عن الأكل والشرب هذه الجلسات الصارمة ليست محطات للتدبر العقلي كما يُروج لها، بل هي في حقيقتها عملية تدمير فسيولوجي ممنهج فمع هذا السكون التام والحرمان من الغذاء، يبدأ مستوى الجلوكوز في الدم بالانخفاض الحاد، مما يؤدي إلى اضطراب عنيف في إفرازات الهرمونات، وخلل جسيم في الشبكات العصبية وكيمياء الدماغ ومع استمرار استهلاك المخ لغذائه الشحيح، تضعف قدرة الإنسان على الاستيعاب والإدراك، وتبدأ الهلاوس والتخيلات في اقتحام عقله وفي هذه اللحظة الفارقة من الضعف الجسدي والتخدير الدماغي، يبدأ الشياطين بالعبث في مسارات وعيه، فيظن الممارس المسكين أنه ارتقى روحياً، وحصّل معارف لدنية، أو اتصل بعوالم علوية، بينما كل ما يختبره ليس أكثر من هلوسات سمعية وبصرية ناتجة عن الخلل الفسيولوجي المفتعل في أيونات الدماغ (1) .

ويُعرف هذا النمط من تغييب الوعي لاستجلاب القوى الخفية في الأدبيات القديمة بالسحر الشاماني، حيث يعتمد الشامان على ممارسة طقوس قاسية تشمل الدوران المستمر أو الحرمان الجسدي للدخول في حالة من النشوة والغيبوبة، بهدف التواصل المباشر مع الأرواح السفلية لطلب الشفاء أو قضاء الحاجات إن استراتيجية الشيطان هنا تعتمد كلياً على فكرة خبيثة: كيف يجعل مخ الإنسان خاملاً ومسلوب الإرادة فالإنسان طالما كان في كامل وعيه ويقظته الفطرية، فإنه يملك حائط صد يدفع به أي خاطر سيء أو وسوسة كفرية لكن بمجرد أن يُخمد العقل وتتعطل ملكات النقد والتمييز، تجد الخواطر الشيطانية مرتعاً خصباً ومساراً مفتوحاً للتأثير ولحكمة بالغة، شرع لنا الإسلام أذكاراً مخصوصة تقال قبل النوم، لأن النوم مرحلة يخمد فيها العقل ذاتياً وتضعف دفاعاته، فتأتي الأذكار كحصن منيع بل إننا أُمرنا في التشريع الإسلامي بالاستعاذة بالله في دبر كل صلاة من فتنة المحيا والممات، لأن لحظات الاحتضار والموت تتسم بخمود العقل وتلاشي القوة، وهو أشد ما يحرص الشيطان على استغلاله لإلقاء شبهاته واليوجا وممارسات التأمل تفعل الشيء ذاته؛ إنها حالة محاكاة افتراضية للموت تسلم قياد العقل طواعية للشيطان.

ولا يتوقف تخدير العقل عند حدود جلسات السكون، بل يمتد إلى تقنيات التنفس العميق والموجه التي تهدف أساساً إلى تسكين العقل وإدخاله في حالة من التنويم المغناطيسي الذاتي ويترافق مع هذا كله نظام غذائي خبيث يستهدف بنية الدماغ نفسها ففي الفلسفة الطاوية، يُروج لمفهوم القوى المتضادة المعروف بالين واليانج، وبناءً عليه يُطلب من الممارسين تجنب تناول اللحوم والألبان بشكل قاطع بحجة أنها تزيد من طاقة الين السالبة لكن الحقيقة العلمية تؤكد أن المخ البشري يعتمد في بنيته وعمله بشكل أساسي على الكوليسترول والبروتينات الحيوانية الموجودة بكثافة في اللحوم والألبان، وحرمان الجسد منها لفترات طويلة يؤدي بالضرورة إلى ضعف المخ وتآكل قدراته الإدراكية وفي المقابل، تُشجع هذه الفلسفات على تناول الشعير المخمر والخمور بحجة زيادة طاقة اليانج الموجبة وهكذا تكتمل الدائرة: حرمان فسيولوجي، تخدير عبر التنفس، وتغييب عبر المسكرات، والغاية العظمى من كل هذه الفلسفة التي يظنها البعض مجرد رموز بريئة، هي إضعاف الدماغ وشل قدرته النقدية، ليتسلط الشيطان على العقل الخاوي، ويبدأ في إلقاء خواطره بكل يسر، ليخرج الممارس من هذه الجلسات معتقداً بما يُسمى بالخلاص العالمي، ومتشرباً لعقيدة وحدة الوجود، مؤمناً بأن الإله قوة سارية في الكون ويمكن أن تحل في جسده.

وما هذه الهلاوس إلا الباب السري الذي عبر منه مؤسسو هذه الطوائف لتأسيس مذاهبهم الباطلة فعلى سبيل المثال، يعترف مؤسس مدرسة العلاج بالريكي ميكاو أوسوي أنه قرر الصيام والانعزال لفترة طويلة، حتى بدأ يفقد وعيه ويُصاب بالهلوسة نتيجة الجوع والحرمان الشديدين، وفي تلك اللحظة تحديداً من انهيار الوعي، بدأت تأتيه الخواطر وتتم عمليات التواصل المزعومة مع العوالم الأخرى، والتي لم تكن في حقيقتها سوى تلبس شيطاني (2) وقد أثبتت الدراسات الحديثة خطورة هذه الممارسات على المدى الطويل، حيث يؤدي التعود على اليوجا إلى حالة مزمنة من الارتباك والتشوش، وفقدان متكرر للإحساس بالزمان والمكان، مما يُسرع من تلف الخلايا الدماغية ويعجل بالإصابة بمرض الزهايمر (3) وتأكيداً لهذا الخطر، أجريت دراسة طبية موثقة على ستين طبيباً مارسوا اليوجا بانتظام لمدة عام كامل، فجاءت النتائج صادمة لتسقط قناع الفائدة الصحية (4)؛ إذ أُصيب ما يقارب نصف العينة (سبعة وأربعون بالمائة) بهلاوس بصرية وسمعية وخواطر غريبة، وعانى اثنان وعشرون بالمائة من نوبات صداع مزمنة، والأخطر من ذلك أن ثمانية عشر بالمائة منهم دخلوا في نوبات اكتئاب حادة ترافقت مع ميول انتحارية فعلية.

إن هذه الحقائق الدامغة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن اليوجا ليست مجرد رياضة بدنية للتمطط والاسترخاء، بل هي فلسفة وطقس ديني وثني (5) ولهذه الفلسفة ارتباط عقدي كامل بمفهوم الطاقة الكونية عند الطاويين، وهو ما يقرره بوضوح تام قاموس أوكسفورد المرجعي (6) وقد سعت مؤسسات أكاديمية عريقة لتمحيص اليوجا واستخلاص فوائدها المجردة عبر سنوات من البحث التجريبي، لتتوالى الصفعات العلمية؛ حيث تم مؤخراً في الأول من ديسمبر عام ألفين وستة عشر تصنيف اليوجا رسمياً ضمن قوائم الميراث الشعبي والثقافي لشرق آسيا وفقاً لليونسكو، وليس كعلم أو رياضة معتمدة (7) والمثير للسخرية حقاً، أن ما يُسمى بالطاقة الكونية لا تملك أي تعريف فيزيائي في قواميس العلم الحديث، وقد تم تصنيفها في الأوساط الأكاديمية الصارمة باعتبارها علماً زائفاً (8) فهي لا تُقاس ولا تُختبر، أي أنها مجرد تخيلات وهمية لا رصيد لها في عالم المادة (9) وتأكيداً لهذا السقوط، انتهت دراسة لجامعة كامبريدج إلى تصنيف اليوجا كجزء لا يتجزأ من طقوس الممارسات الدينية الهندوسية، وليست مجرد رياضة (10) .

وسرعان ما يقع الممارس المقبل على هذه الطقوس في شباك الفتنة الشيطانية العميقة؛ إذ يبدأ الشيطان بوحي باطني يلقيه في روعه، يتبعه ما يُوهمون الناس بأنه فتح للعين الثالثة، فيرى الممارس خيالات ويشعر بتغيرات مزيفة يظن أنها منافع حقيقية ومكاشفات علوية يعتقد هذا المصاب باللوثة أن الفضل كله يعود لانتظامه في ممارسة علوم الطاقة واليوجا، ولكنه في الحقيقة تضليل شيطاني محكم لضمان استمراره في مسار الشرك فالشيطان، وكما هو متقرر في كتب العقيدة الإسلامية، يقدم لتابعيه نوعاً من الإمداد الخفي وقضاء بعض الحاجات الدنيوية التافهة ليثبتهم على باطلهم فكما كانت الشياطين قديماً تقضي بعض حوائج عباد الأصنام، تفعل اليوم الشيء ذاته مع من يعبد وثن الكون ويقدم له قرابين التأمل والانصياع، تحقيقاً للوصف القرآني: {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ} [النحل: 100] فمن يتولى الشيطان بفتح بوابات وعيه له، يأتيه هذا الإمداد الشيطاني ليوقعه في فخ الإلحاد الروحي، وهو انسلاخ تدريجي من عقيدة التوكل على الله، واستبدالها بالاعتقاد بأن الكون نفسه ينفع ويضر وتكون النتيجة الحتمية لهذه الممارسات هي السقوط في مستنقع الشرك الأكبر، وهو الذنب الذي حذر منه المولى عز وجل بقاطع القول: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 116] .

إن سكون الموتى الذي يمارسه دعاة العلاج بالطاقة نقلاً عن البوذية والهندوسية، يؤدي قطعاً إلى نوع حقيقي من المس الشيطاني، ويورث خفة العقل، وشرود الذهن، وبلادة الإحساس ولقد لخص الإمام الذهبي رحمه الله هذه الحالة النفسية والشيطانية بعبقرية تاريخية فذة حين قال يصف حال من يسلك هذا الدرب: «ثم العابد العري من العلم متى زهد وتبتل وجاع، وترك اللحم والثمار، واقتصر على الدقة والكسرة، لازمته خطرات النفس وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل وخوطب، وارتقى، فيتمكن منه الشيطان ويوسوس له» [11] إنه الوصف الدقيق لآلية عمل الشيطان الذي أخذ على نفسه عهداً بإضلال البشر منذ فجر الخليقة، متربصاً في كل طريق وكل ممارسة، مصداقاً لقوله تعالى حكاية عن توعد إبليس: {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: 16-17] .

خرافة الهالة المحيطة بالجسم والشاكرات تشريح الوهم الباطني

ولكي تكتمل فصول الخديعة، كان لابد لمروجي علوم الطاقة من ابتكار تشريح وهمي للجسد يتناسب مع فلسفتهم الباطنية، فظهر للعلن مفهوم «الهالة المحيطة بالجسم» ففي المعتقد الهندوسي القديم، والذي تم استنساخه في العصر الحديث، تُعرف هذه الهالة بمصطلح «الأورا» أو ما يُسمى في نصوصهم القديمة بـ «برانا كوشا» وهو مفهوم روحي عميق يرتبط بفكرة خبيثة مفادها أن الإنسان ليس مجرد جسد مادي مرئي، بل هو كيان مركب من طبقات متعددة ومستويات متداخلة من الطاقة والوعي وبناءً على هذا الزعم، فإن كل كائن حي، سواء كان إنساناً أو حيواناً أو حتى نباتاً، تحيط به هالة إشعاعية غير مرئية تبث طاقة الحياة المسماة بـ «البرانا»، وهي ذاتها القوة الحيوية أو الطاقة الكونية التي يدعون أنها تسري في أوصال الكون كله وتحرك ذراته.

ولإضفاء هالة من التعقيد المفتعل الذي يوحي بعمق المعرفة، قسّم الفكر الهندوسي والروحاني هذه الهالة إلى سبع طبقات متتالية تغلف الجسد المادي تبدأ هذه الطبقات بـ «الهالة الجسدية» التي تُعد أقرب طبقة ملامسة للجسم المادي، زاعمين أنها تعبر عن صحته ونشاطه الحيوي وتتأثر مباشرة بالتغذية والنوم والمرض ثم تليها «الهالة العاطفية» التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشاعر، وتتبدل ألوانها الوهمية بسرعة مذهلة وفقاً للحالة النفسية من حزن أو فرح أو غضب وتتسع الدائرة لتشمل «الهالة الذهنية» المعبرة عن الفكر والنية ومستوى التركيز، والتي تبلغ أوج سطوعها أثناء جلسات التأمل وتأتي بعد ذلك «الهالة النجمية» لتشكل جسراً خفياً يربط بين العالم المادي والعالم الروحي، وهي الطبقة التي يُدعى أن الإنسان يستخدمها في أحلامه أو عند ممارسته لخيالات الإسقاط النجمي ثم ننتقل إلى «الهالة الروحية السفلى» أو القالب الأثيري، والذي يزعمون أنه يحتوي على المخطط الطاقي الذي يُبنى عليه الجسد المادي بأكمله وفي المراتب العليا، تبرز «الهالة السماوية» المرتبطة بالمحبة الكونية غير المشروطة والنور الإلهي المزعوم، والتي لا يشعر بها إلا من بلغ مستويات روحية متقدمة لتُتوج هذه الطبقات أخيراً بـ «الهالة الكونية»، وهي أعلى درجات هذا البنيان الوهمي، وتمثل نقطة الاتصال المباشر بالمصدر الإلهي أو الوعي الكوني المسمى «براهمان»، وهي حالة نادرة لا يدركها إلا من بلغ أقصى درجات الصفاء الروحي والاتحاد بالكون[1] .

ولا تعمل هذه الهالات السبع بمعزل عن محركات داخلية يُطلقون عليها اسم «الشاكرات»، وهي عبارة عن سبعة مراكز حيوية للطاقة موزعة داخل الجسم وفق التعاليم الهندوسية تُعد هذه الشاكرات بمثابة المحطات التي تستقبل وتوزع الطاقة الكونية، بينما الهالة هي مجرد انعكاس وشاشة عرض خارجية تبين حالة هذه المراكز فإذا كانت الشاكرات مفتوحة ومتوازنة، انعكس ذلك على صفاء الهالة ونقائها، أما إذا تعطلت أو امتلأت بالطاقة السلبية، ظهرت الهالة باهتة ومظلمة ومن هنا، تمحورت أهداف ما يُسمى بـ «العلاج بالطاقة» حول ضخ الطاقة الكونية في هذه الهالة، ومحاولة ضبط ألوان الأجسام السبعة وترقيعها فالخرافة هنا تنص على أن كل جسم من هذه الأجسام السبعة له لون مميز، وأي خلل أو نقص في هذا اللون يؤثر حتماً على قوة الجسد المادي ويجلب له المرض، ولذلك يعتمدون في دجلهم على العلاج بالألوان لتعويض هذا النقص الوهمي.

ورغم كل هذه التفاصيل الدقيقة والمصطلحات المعقدة التي تشبه البنيان العلمي، إلا أن العلم التجريبي الصارم كان له كلمة الفصل القاطعة التي نسفت هذا البنيان من القواعد فقد أُجريت العديد من التجارب العلمية في مختبرات موثوقة لمحاولة رصد ما يُعرف بالهالة والأجسام السبعة المحيطة بجسم الإنسان، أو حتى قياس ذبذبات الشاكرات وجاءت النتيجة صفعة مدوية لكل مروجي هذه الفلسفات؛ إذ تيقن المجتمع العلمي أن الهالة المحيطة بجسم الإنسان ومسألة الأجسام السبعة ليست أكثر من هراء علمي محض، ولم يتم رصد شيء من ذلك على الإطلاق باستخدام أدق الأجهزة الحرارية أو الكهرومغناطيسية (2) وبناءً على هذه المعطيات الصارمة، تم تصنيف ادعاءات الهالة المحيطة بالجسم والشاكرات باعتبارها أحد العلوم الزائفة المنتشرة في الثقافة الشعبية، والتي لا تملك أي معنى علمي أو سند مادي يبرر وجودها (3) .

وإذا كان السقوط العلمي لهذه الخرافات مدوياً، فإن السقوط العقدي أشد خطراً وأعظم جرماً إن هذه المعتقدات تنافي أصلاً من أصول التوحيد وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى هو الشافي وحده لا شريك له، وأن الأسباب الكونية لا تعمل بذاتها ولا تملك قوة ذاتية إلا بإذن خالقها فالقول بأن «الهالة تشفي» أو أن «الهالة المضيئة تجلب الحظ وتصد النحس» أو «تحمي من شرور الأقدار»، هو وقوع صريح في الشرك الأصغر، والذي قد يتعاظم لينزلق بصاحبه إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة إذا اعتقد الإنسان أن لهذه الهالة قوة وتأثيراً ذاتياً مستقلاً عن مشيئة الله.

إن أخطر ما في عقيدة الهالات السبعة الهندوسية أنها تقوم بعملية سطو ممنهجة لصفات الربوبية والجلال، لتخلعها على مخلوق متوهم يُسمى «الطاقة» ففي أدبياتهم، تصبح الطاقة كياناً يُعطي، والطاقة تمنع، والطاقة تبارك، والطاقة تُنظف الروح من خطاياها، بل والطاقة تغير القدر وتبدل المآلات! وهذه جميعها صفات إلهية محضة لا يملكها إلا الله الواحد القهار، ونسبتها إلى مجرد طاقات كونية أو هالات جسدية هو شرك واضح وتنديد صريح برب العالمين وللحفاظ على هذا الوهم، تتطلب هذه العقيدة الانخراط في طقوس باطنية محرمة، تشمل ممارسات غريبة مثل جلسات فتح الهالات، وتنظيف الهالة المظلمة، وشحن الهالة الموجبة، وممارسة التأمل الهندوسي، وترديد المانترا الشركية، واليوغا الروحية التي تعد في أصلها طقساً دينياً وثنياً وليست رياضة بدنية كما يُشاع إن كل هذه الممارسات لا تختلف قيد أنملة عن طقوس السحرة والكهنة وعباد الهياكل القديمة؛ لأنها تعتمد على استدعاء غيبيات غير ثابتة لا بدليل شرعي صحيح ولا ببرهان علمي صريح، لتسوق الإنسان الموحد، بخطى ناعمة، إلى مستنقع الوثنية الحديثة.

خرافة العلاج بالألوان ووهم التصوير الطاقي

ويمتد هذا العبث الباطني ليتخذ من مظاهر الطبيعة أدوات لتمرير عقائده، ومن أبرز ذلك ما يُسمى بـ «العلاج بالألوان» وهذا التطبيق ليس وليد اكتشاف طبي حديث، بل هو جزء أصيل من منظومة الطب الهندي القديم المسمى بالأيروفيدا، ومن فلسفة طاقة المكان الصينية المعروفة بالفينغ شوي ويرتبط الاعتقاد بتأثير الألوان على الصحة الجسدية والروحية ارتباطاً وثيقاً بخرافة الشاكرات؛ إذ يعتقدون أن هذه المراكز الوهمية هي منافذ استمداد الجسد للطاقة الكونية، وسبيل اتحاده بالمطلق وبناءً على هذه الفلسفة، خُصص لكل شاكرا لون محدد لابد أن تتشبع به، زاعمين أن أي نقص في هذا اللون يسد منافذها ويضعفها، مما يضرب الصحة النفسية والعقلية والروحية في مقتل ولتدارك هذا الخلل المزعوم، يُحث المريض على ارتداء ملابس بلون الشاكرا الضعيفة، أو تسليط مصابيح ملونة على جسده، أو تناول أغذية وأطعمة تحمل ذات اللون، بل وارتداء أحجار كريمة محددة وفي مشاهد تبلغ ذروة السخرية والدجل، يكتفي المعالج بعمل جلسات استرخاء يُطلب فيها من المريض أن يستحضر هذا اللون في خياله، ويتأمل أسراره، ويتنفسه، ويتحد معه، بينما يقوم المعالج بدوره بتخيل اللون وإرساله للمريض عبر الأثير، ليتم العلاج كله في غياهب الخيال المحض!

ولإقناع الضحايا، يعمد مروجو هذه التطبيقات إلى أخبث أساليب التدليس الممنهج؛ وهو خلط بعض الحقائق العلمية المثبتة حول التأثير النفسي للألوان، بادعاءات طبية وروحية باطلة، حتى يصعب على المستمع غير المتخصص التمييز بين الحق والباطل فيزعمون بجرأة لا تدعمها تجربة أو برهان، أن اللون البنفسجي يعالج الروماتيزم والأمراض الجلدية، وأن اللون الأخضر يشفي من الاضطرابات العقلية، بينما يتولى اللون البرتقالي تنشيط البنكرياس ولا يقفون عند حدود الجسد، بل يدّعون أن للألوان تأثيراً سحرياً على الروحانيات؛ فمنها ما يمنح الخشوع ومنها ما يسلبه، وبحسب لونك المفضل تتحدد معالم شخصيتك ومصيرك وتتسرب هذه الفلسفة إلى تصميم المنازل هندسياً لجلب الحظ وطرد النحس، وتتجسد في تلوين التعويذة الهندوسية الشهيرة المسماة بـ «الماندالا»، حيث يُعد مزج الألوان فيها طقساً للاتحاد باللانهائي، وليس مجرد هواية فنية.

إن خطورة هذا الطرح تكمن في أنه ينقل الألوان من كونها مجرد انعكاسات ضوئية وصفات فيزيائية خلقها الله لتمييز الأشياء وإدخال البهجة على النفوس، إلى فلسفة إلحادية خطيرة إذ تُوصف الألوان في هذه العقائد بأنها قوى مطلقة، ووسائل للاتحاد بالكلي وأمام هذا العبث، وقفت المؤسسات العلمية وقفة حاسمة؛ فقد تم تصنيف العلاج بالألوان كواحد من العلوم الزائفة التي لا تستند إلى أي دليل تجريبي وفقاً لموسوعة العلوم الزائفة [1] وفي الأوساط الطبية الرصينة، لا يُطلق على هذا الممارسات سوى مصطلح «العلاج بالدجل» [2] وقد حسمت جمعية السرطان الأمريكية هذا الجدل ببيان قاطع أكدت فيه أن العلاج بالألوان ليس له أية قيمة علمية أو طبية على الإطلاق [3] .

ولما كانت هذه الخرافات تفتقر إلى أي إثبات مادي، لجأ دعاة الوثنية الحديثة إلى اختطاف منجزات العلم لتبرير ترهاتهم، وكان أشهرها الاستدلال بجهاز التصوير الذي ابتكره العالم الروسي كيرليان، زاعمين أنه يلتقط صوراً للهالة الروحية التي تدخل منها الطاقة الكونية والحقيقة الفيزيائية الصارمة تفضح هذا الزيف؛ فجهاز كيرليان لا علاقة له من قريب أو بعيد بالهالة الروحية في الفلسفات الشرقية إنما هو مجرد جهاز بسيط يقوم بتصوير ظاهرة «التفريغ الكهربي» للغازات المحيطة بالجسم.

تحدث هذه الظاهرة الطبيعية البحتة، والتي يُطلق عليها العلماء اسم «إشعاع الإلكترون البارد»، نتيجة وضع الجسم في مجال كهربي عالي الجهد بين لوحين (مصعد ومهبط) وكلما زاد فرق الجهد الكهربي، زادت قوة تأين الغازات المحيطة بالجسم، فتظهر تلك الومضات أو الهالة الضوئية (4) والدليل القاطع على زيف ادعاءات الروحانيين، أن شكل هذه الهالة يتغير بمجرد أن يتعرق الإنسان أو يخلع نعليه لتغير نسبة الرطوبة والأيونات والأكثر إحراجاً لهم، أنك لو وضعت قطعة جماد ميتة كعملة معدنية أو مفتاح في هذا الجهاز، فإنه سيُظهر لها نفس "الهالة المضيئة"! كما أن هذا الجهاز يعجز تماماً عن التقاط أي هالة إذا وُضع في غرفة مفرغة من الهواء (الفراغ)، مما يثبت يقيناً أنه يصور تفاعل الغازات المحيطة، وليس طاقة روحية مزعومة لكن كالعادة، يعمد هؤلاء إلى تلفيق الحقائق العلمية وتلوية أعناقها لتزيين الباطل وأكل أموال الناس بالباطل.

وفي ختام تشريح هذه الضلالات، لابد من إرساء قاعدة عقدية صلبة تعصم المسلم من الانزلاق في هذه المتاهات، وتتجسد في منهج السلف الصالح في فهم باب «الأسباب والمسببات» لقد أقر التشريع الإسلامي بأن الأسباب في العلاج وسائر مطالب الحياة تنقسم إلى نوعين معتبرين :أولاً: أسباب شرعية؛ وهي ما ثبتت بالنص الشرعي القاطع، سواء أدرك العقل البشري آلية تأثيرها أم لم يدرك، ومنها: الرقية بالقرآن الكريم، اللجوء إلى الدعاء، التضرع في قيام الليل، والتداوي بالعسل والحبة السوداء وما شابه مما صح به النقل ثانياً: أسباب كونية (مادية)؛ وهي ما ثبت تأثيرها في الواقع المادي المحسوس بتقدير الله تعالى وعبر التجربة العلمية الصحيحة (كالطب والجراحة والأدوية الكيميائية) وهذه الأسباب الكونية منها ما هو مباح شرعاً، ومنها ما حرمه الله كالتداوي بالخمر أو السحر.

لكن المأزق الخطير يقع حين يبتدع الناس نوعاً ثالثاً، وهو «الأسباب الوهمية»؛ وهي تلك الممارسات التي يتوهمها الناس ويزينها لهم الشيطان، ولا تملك أي تأثير حقيقي، لا من جهة العقل والطب، ولا من جهة الشرع والوحي، كعقائد الطاقة والشاكرات والألوان إن التعلق بهذه الأسباب الوهمية هو باب واسع من أبواب الشرك بالله عز وجل، تتدرج خطورته وتغلظ بحسب اعتقاد الآخذ بها فمن جعل ما ليس بسبب سبباً فقد أشرك شركاً أصغر، ومن اعتقد أن هذه الأسباب الوهمية تنفع وتضر بذاتها فقد وقع في الشرك الأكبر.

لقد حسم القرآن الكريم هذا العبث بتأكيد التفرد الإلهي بالنفع والضر، حيث قال سبحانه: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: 56]، وحذر من اتخاذ أنداد وهمية مهما اختلفت مسمياتها: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22] ووضع النبي ﷺ الدستور الأعظم لتوحيد القصد والتوكل حين قال: «إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ» (سنن الترمذي، حديث حسن صحيح) ففي هذا التوحيد الخالص، غنىً عن كل طاقة وهمية، وعصمة من كل فلسفة باطنية تُورد صاحبها المهالك.

الريكي خرافة الاستشفاء الكوني وبوابة الاستحواذ الشيطاني

في سياق تتبعنا لتطبيقات هذه الفلسفات الباطنية، يبرز ما يُسمى بـ «الريكي» كواحد من أخطر وأشهر أساليب العلاج الوهمي التي اجتاحت العالم تعود جذور هذه الممارسة إلى اليابان، حيث أسسها شخص يُدعى ميكاو أوسوي، والذي بدأ رحلته بدراسة ما يُزعم أنه معجزات الإبراء والشفاء في التراث النصراني والبوذي وللحصول على هذه القوة، انطلق في خلوة وصيام امتد لواحد وعشرين يوماً على أحد الجبال، ليخرج بعدها مدعياً أنه استطاع إدخال طاقة الإبراء الكونية إلى جسده، وأنه بات يمتلك القدرة على علاج الآخرين وتقوم فلسفة هذا المذهب على تفكيك الكلمة إلى شقين؛ فالـ «ري» تعني طاقة قوة الحياة الكامنة في الجسم الأثيري المزعوم، والـ «كي» تمثل الطاقة الكونية الإلهية أو طاقة الإبراء.

وتبدأ مسرحية العلاج بالريكي عبر طقوس دقيقة؛ حيث يقوم خبير الطاقة، والذي لا يعدو كونه مشعوذاً عصرياً، بما يُسميه فتح الشاكرات، ثم تدريب الممارس على تسليك مسارات الطاقة في جسده لضمان تدفقها يتم هذا كله عبر تقنيات التنفس التحولي والتأمل الارتقائي، في غرف ذات إضاءة خافتة وجو يسوده السكون التام وفي وضعية استرخاء عميق وتخدير للوعي، يبدأ الممارس بالتخاطب مع أعضاء جسده عضواً عضواً بصوت خفيض ورتيب، مع التركيز على الداخل وتخيل ألوان معينة تحيط بالعضو لطرد ما يُسمونه بالطاقات السلبية وبحسب زعمهم، يتناغم الإنسان بعدها مع جسده، وتتدفق الطاقة الكونية بسلاسة من الكون إلى يد الخبير ومنها إلى جسد المصاب، ليشعر بنشوة زائفة وسمو روحي وهمي ويتمادى مروجو هذه الخرافة في وعودهم، فيدّعون أن الممارس اليومي سيستغني تماماً عن الأدوية والجراحات، بل وسيصل إلى حالة من الروحانية العالية تمكنه من الصلاة بخشوع وطمأنينة، خاصة إذا ركز على الشاكرات العلوية! لتكتمل فصول الدجل بادعاء أن هذا الخبير يمتلك طاقة عجيبة تمكنه من علاج المرضى بلمسة من يده، أو حتى إرسال طاقة الشفاء عن بعد، ولو عبر قارات العالم، شريطة أن يعرف اسم المريض واسم أمه؛ وهي ذات الشروط التي يطلبها السحرة والكهنة منذ فجر التاريخ!

لكن الحقيقة الباطنية المرعبة للريكي تنجلي حين نغوص في مستوياته ورموزه فالريكي بمختلف طرقه ومدارسه، سواء أكان تقليدياً أو أصلياً أو غير ذلك، لا يعتمد على مجرد الاسترخاء، بل يعتمد اعتماداً كلياً ومطلقاً على استحضار «الرموز» تتدرج هذه المدارس في مستويات تبدأ من المستوى الأول وتصل إلى درجة المعلم (الماستر) أو المعلم الأعظم ولا يمكن لأي متدرب أن يصل إلى هذه المراتب المتقدمة إلا إذا أتقن رسم الرموز الباطنية، ورُسمت هذه الرموز على جسده فعلياً والسر الأخطر هنا، والذي يخفيه الكثيرون، أن كل رمز من هذه الرموز له كيان روحي أو خادم موكل به يُطلقون عليه مصطلح «أجريجور» أو «كينونة»، وهو في حقيقته العارية ليس سوى شيطان من الجن.

وعليه، لا وجود للريكي بدون رموز، ولا رموز بدون شياطين وللوصول إلى مرتبة المعلم، لابد للمتدرب من تفعيل رمز رئيسي يُدعى «دايكو ميو»، ووظيفة هذا الرمز الحقيقية هي استحضار الخادم الأكبر للريكي، ليُحيط بالممارس ويصبح خادماً خاصاً له في عالمه وفي مستويات العلاج عن بعد، يُستخدم رمز آخر يُدعى «هونشا زي شونين»، وهو بمثابة جسر شيطاني يرسله المعالج ليتصل بقرين المريض، ولا تتم عملية نقل الطاقة المزعومة إلا بعد أخذ الإذن من هذا القرين عبر خادم

المعالج! إنها دائرة مغلقة من الاستعانة بالجن والتواصل الشيطاني تُقدم للناس في غلاف علاجي والأدهى من ذلك وأمر، هو محاولات أسلمة هذه الطقوس الشركية لاستدراج المسلمين، فظهر ما يُسمى بريكي أسماء الله الحسنى، وريكي سورة الفاتحة، وريكي آية الكرسي؛ في استهانة بالغة بكلام الله، حيث تُستخدم الآيات كتعاويذ بديلة للرموز لاستدعاء ذات الطاقات السفلية.

ولم يقف فضح هذه الممارسات عند حدود التأصيل العقدي الماحق، بل امتد ليتلقى صفعات متتالية من ساحات العلم التجريبي والطب الحديث فرغم ادعاءات الاستشفاء بالطاقة الكونية والهالات، أُجريت دراسات طبية متخصصة وصارمة لتمحيص قدرات المعالجين بالريكي وما إذا كان لها أي أثر فسيولوجي ملموس، فكانت النتيجة الدائمة أننا أمام دجل صريح وليس علماً ففي دليل أوكسفورد المرجعي للطب النفسي، وفي طبعته الثالثة، تم حسم الأمر بتقرير قاطع ينص على أن: «العلاج بالريكي هو أحد العلوم الزائفة» [1] وتوالت الضربات حين انتهت أبحاث طبية موسعة حول فعالية هذا العلاج إلى نتيجة جازمة بأنه: ليست له أية قيمة في أية حالة مرضية على الإطلاق [2] ولم تتردد دراسات مستقلة أخرى في وصف من يقومون بالعلاج بالريكي بأنهم مجرد مجموعة من المحتالين [3] وتأكيداً لهذا الموقف العلمي الصارم، قام المجلس القومي الأمريكي للغش في الصحة بتصنيف ممارسة الريكي رسمياً باعتبارها نوعاً من الممارسات غير العلمية والمضللة[4] .

ولعل أقسى وأسخر ضربة وُجهت لكبرياء هؤلاء المدعين، لم تأتِ من مختبرات معقدة، بل جاءت على يد طفلة تبلغ من العمر تسعة أعوام تُدعى إيميلي روزا لقد استطاعت هذه الطفلة بعبقرية وبساطة أن تفضح خرافة العلاج بالريكي والهالات، عبر تصميم تجربة علمية محكمة قامت إيميلي بوضع حاجز كرتوني يمنع الرؤية بين المعالج بالريكي وبينها، وكانت تقوم بتمرير يدها فوق إحدى يدي المعالج (اليمنى أو اليسرى) وتطلب منه أن يحدد، بناءً على إحساسه المزعوم بطاقتها وهالتها، أي اليدين هي التي تتواجد يدها فوقها فالمنطق البديهي لهؤلاء المدعين يقرر أنه إذا كانت هناك هالة تحيط بالإنسان وتتداخل مع هالة المعالج، فإن هذا الخبير سيشعر بتدفق الطاقة فوراً دون الحاجة للنظر.

استدعت إيميلي واحداً وعشرين متطوعاً من المعالجين وخبراء الطاقة، وقامت بإجراء مائتين وثمانين اختباراً موثقاً وجاءت النتيجة لتزلزل أركان هذه الصناعة الوهمية؛ حيث فشل المعالجين بالريكي فشلاً تاماً وذريعاً في تحديد منطقة تداخل هالة الطفلة مع هالتهم، وكانت إجاباتهم لا تتعدى نسبة التخمين الأعمى وحظ الصدفة وبناءً على هذه المعطيات الدامغة، قدمت الطفلة إيميلي ورقة علمية بهذه النتائج، وتم تحكيم الورقة من قبل لجان طبية متخصصة، ليتم قبولها ونشرها في مجلة الجمعية الطبية الأمريكية العريقة وبذلك أصبحت هذه الطفلة أصغر باحث علمي سناً ينشر ورقة علمية محكمة في التاريخ [5] لقد أسقطت ورقة إيميلي روزا كومة هائلة من الخرافات المترابطة؛ فنسفت خرافة الهالة المحيطة بجسم الإنسان، وسحقت خرافة العلاج بالريكي، وأثبتت بالبرهان العملي أن العلاج بالطاقة والطاقة الكونية ليسا سوى أكاذيب تُباع في أسواق الوهم لاستنزاف جيوب المغفلين وعقائدهم.

عقيدة الشاكرات دوامات الوهم وتأليه الجسد

وفي قلب هذه المنظومة الباطنية، وبمثابة المحرك الأساسي لكل خرافات الطاقة الحيوية، تتربع عقيدة «الشاكرات» كواحدة من أشهر المفاهيم الروحية المنتشرة في الفكر الشرقي القديم، وتحديداً في معابد الهندوسية والبوذية تُعد هذه العقيدة هي الأساس النظري والعمود الفقري الذي قامت عليه لاحقاً الممارسات الحديثة كالريكي، واليوجا، والعلاج بالأحجار الكريمة والشاكرا كلمة سنسكريتية قديمة تعني حرفياً العجلة أو الدوامة؛ وذلك نابع من اعتقادهم الوثني بأن كل شاكرا تمثل مركزاً طاقياً دواراً ومغزلياً يخترق الجسد الإنساني، ويعمل كمضخة لاستقبال وبث طاقة الكون.

وترجع الجذور الفلسفية لهذه الفكرة إلى النصوص الهندوسية القديمة المعروفة بـ «الأوبانيشاد»، وهي نصوص دينية شديدة الغموض تبحث في ماهية الروح، والطاقة، وكيفية فناء الإنسان واتحاده بالمطلق المسمى «براهمان» ومن رحم هذه النصوص، تطورت الفلسفات اليوجية والبوذية لترسم خريطة تشريحية وهمية للجسد، مدعية وجود جسد طاقي غير مرئي يغلف الجسد المادي، ويحتوي على آلاف القنوات والمسارات الدقيقة التي تُسمى «الناديز» وتزعم هذه الفلسفة أن تلك القنوات تتقاطع وتلتقي لتتشكل في النهاية سبع دوامات رئيسية على طول العمود الفقري، وهي ما يُعرف بالشاكرات السبع.

وترتكز هذه العقيدة على افتراض خيالي يقضي بأن الإنسان ليس جسداً مادياً تحركه الروح التي نفخها الخالق، بل هو كيان طاقي بحت، وأن قوة الحياة التي يسمونها «البرانا» يجب أن تسري بانسجام تام وتدفق حر في جميع هذه الشاكرات ويفسرون كافة الأمراض الجسدية، والاضطرابات النفسية، بل وحتى الإخفاقات الدنيوية والروحية، بأنها مجرد نتيجة حتمية لانسداد أو خلل في دوران هذه المراكز الطاقية ومن هنا، يُطرح الهدف الأسمى لجلسات التأمل وممارسات اليوجا؛ وهو السعي الحثيث لفتح هذه الشاكرات وتنقيتها، تمهيداً لإيقاظ طاقة شيطانية كامنة يسمونها «الكونداليني» يُعبرون عن هذه الطاقة بثعبان نائم ملتف حول نفسه في أسفل العمود الفقري، وبمجرد إيقاظه عبر الطقوس، يصعد هذا الثعبان الطاقي مخترقاً الشاكرات السبع واحدة تلو الأخرى، حتى يصل إلى قمة الرأس (شاكرا التاج) وعند هذه النقطة، يُزعم أن الإنسان يصل إلى حالة الانسجام التام مع الكون، وتتحقق له الاستنارة الروحية الكبرى أو حالة النيرفانا، حيث تتلاشى ذاته وتتحد بالوعي الكوني.

ولم تقف هذه الخرافة عند حدود المعابد الآسيوية، بل تلقفتها حركات العصر الجديد ببراعة ماكرة، وعملت على إعادة تدويرها ودمجها مع مفاهيم حداثية براقة لابتلاع العقل الغربي والشرقي المعاصر فتم استبدال المصطلحات الوثنية الفجة بكلمات ناعمة مثل: الطاقة الإيجابية، الذبذبات، الترددات، والتأمل الإرشادي وصارت الشاكرات تُقدم اليوم في قاعات التدريب الفاخرة على أنها مجرد «مراكز حيوية» يمكن تفعيلها علمياً بالبلورات الكريستالية، أو تسليط الألوان، أو الرنين الصوتي، أو التفكير الإيجابي لكن الحقيقة الراسخة التي يحاولون إخفاءها هي أن هذه الممارسات، مهما تزينت، تظل في جوهرها معتقداً هندوسياً باطنياً يعيد إنتاج فكرة الاتحاد بالإله بلغة حداثية فالشاكرا ليست مصطلحاً طبياً أو اكتشافاً فسيولوجياً، بل هي عقيدة دينية صميمة عند الهندوس وفي طوائف بوذية المانترا[1]

وإذا ما وضعنا هذه الفلسفة في ميزان الوحي الصارم، تتجلى حقيقتها كمعتقد يناقض التوحيد من أساسه ويضرب في صميم العقيدة فالمسلم يوقن إيقاناً جازماً أن الله وحده لا شريك له هو مصدر كل قوة، وأنه بيده مقاليد الخير والشر، وأن الرزق والشفاء والقدر محصورة في مشيئته المطلقة أما الاعتقاد بأن هذه «الشاكرات» أو القوى الخفية الكامنة في الجسد هي المصدر الأساسي لاستمداد الطاقة، وأن فتحها أو إغلاقها هو ما يتحكم في مصير الإنسان وصحته ورزقه بشكل ينفي الإرادة الإلهية وقضاء الله وقدره؛ فهو بلا شك نوع من الشرك الأكبر الجلي، الذي ينسب القدرة المطلقة والتصرف الكوني إلى غير الخالق العظيم إنه تأليه مبطن للجسد، واستغناء زائف عن الافتقار إلى رب العالمين.

وأما على الصعيد العلمي والتشريحي، فقد حاول مروجو هذه الفلسفة إضفاء مسحة من المشروعية الطبية على خرافاتهم عبر تلفيق خبيث؛ إذ قاموا بربط مواقع الشاكرات السبع المزعومة بأماكن التجمعات العصبية الحقيقية أو الغدد الصماء في الجسم البشري (كربط شاكرا التاج بالغدة الصنوبرية، وشاكرا القلب بالضفيرة العصبية القلبية) لكن هذا الربط هو مجرد تشابه موقعي مخادع اختلقوه لاحقاً لتبرير نظريتهم، ولا يُعتبر بأي حال من الأحوال دليلاً علمياً على أن هذه الأعضاء هي مراكز «طاقة»، أو أنها تدور وتمتص ذبذبات الكون كما توصف في الفلسفات الروحية وقد حسم العلم الحديث هذا الجدل؛ حيث تثبت كافة المراجع التشريحية والأوراق البحثية الطبية الرصينة، وبما لا يدع مجالاً للشك، أن ما يُسمى بالشاكرات ومسارات الطاقة غير المرئية ليس لها أي وجود علمي أو تشريحي أو فسيولوجي على الإطلاق[2] .

خرافة مسارات الطاقة ووهم الإبر الصينية بين التدليس الطبي والجذور الوثنية

ولتثبيت أركان الفلسفة الباطنية في أذهان العامة، كان لزاماً على مروجيها ابتكار خريطة تشريحية موازية للجسد البشري، فظهر ما يُعرف بمسارات الطاقة أو «خطوط الميريديان» في أدبيات الطب الشرقي المزعوم ويُقصد بهذه المسارات قنوات أثيرية غير مرئية يُدعى أنها تخترق جسد الإنسان طولاً وعرضاً لتنقل الطاقة الحيوية، التي تُسمى في التراث الصيني «تشي»، وتُعرف في الفلسفة الهندوسية باسم «برانا» وتقوم هذه العقيدة على تصور ساذج يفترض أن هذه الطاقة الكونية تجري في الجسد المادي تماماً كما يجري الدم في العروق والأوردة، وأن أي انسداد أو ضعف في جريانها الوهمي هو السبب الأوحد لكل مرض جسدي أو أزمة نفسية وبناءً على هذا التشخيص الباطل، يتم الترويج لطرق علاجية تعتمد كلياً على إعادة توازن هذه الطاقة وتسليك مساراتها المزعومة، سواء عبر الوخز بالإبر الصينية، أو ممارسة اليوجا، أو طقوس الريكي والتأمل، أو حتى الضغط اليدوي على نقاط معينة في الجسد؛ وهي في مجملها إعادة تدوير لذات الأفكار الهندوسية القديمة التي تتحدث عن الشاكرات وتدفق البرانا، ولكن بصبغة صينية.

وأمام الانتشار الوبائي لهذه الخرافة، أخذ العلم التجريبي الصارم على عاتقه تفكيك هذه المزاعم في مختبرات البحث الرصينة فقد سقطت أسطورة مسارات الطاقة سقوطاً مدوياً أمام الاختبارات السريرية؛ حيث أُجريت دراسة بحثية مستقلة وموثقة في هولندا على إحدى وخمسين حالة مرضية تم إخضاعها للعلاج بالإبر الصينية، لتأتي النتيجة قاطعة وصادمة للمروجين، مؤكدة أن العلاج بالإبر الصينية ليست له أية قيمة علمية أو أثر طبي حقيقي يتجاوز الوهم[1] .

ولم يقف الأمر عند إثبات عدم الفعالية، بل امتد لكشف حجم الخديعة النفسية التي تُمارس على المرضى ففي مفارقة عجيبة تفضح هشاشة هذه الممارسة، أجرى اثنان من كبار علماء جامعة هايدلبرغ الألمانية تجربة سريرية محكمة على مجموعة من المرضى باستخدام إبر صينية مزيفة صُممت خصيصاً بحيث لا تخترق الجلد على الإطلاق، مع إيهام المرضى نفسياً بأنها إبر صينية حقيقية اخترقت أجسادهم في مسارات الطاقة وكانت النتيجة المذهلة أن هؤلاء المرضى أظهروا نسبة تحسن وهمي تعادل تماماً نفس نسبة النجاح التي تُسجل للإبر الصينية الفعلية [2] وتأكيداً لهذا البعد النفسي، أُجريت في عام ألفين وأربعة دراسة موسعة أخرى في ذات الجامعة على مائتين وعشرين امرأة خضعن لجراحات استئصال الثدي وجراحات الرحم ولتفادي ما يُعرف فسيولوجياً بقيء ما بعد العمليات الجراحية، تم تقسيم المريضات إلى ثلاث مجموعات؛ تلقت الأولى علاجاً بالإبر الصينية الحقيقية، وتلقت الثانية علاجاً إيحائياً وهمياً تمثل في مجرد وضع صور للإبر على الجلد، بينما تلقت المجموعة الثالثة بروتوكولاً طبياً دوائياً معتمداً لعلاج القيء وقد تبين للباحثين أنه لا يوجد أي فرق يُذكر في النتائج بين المجموعات الثلاث وتكتسب هذه الدراسة أهمية بالغة وخطيرة؛ لأن قضية إيقاف القيء بعد العمليات الجراحية كانت تُعد لعقود طويلة إحدى أشهر وأقوى ادعاءات الاستخدام للإبر الصينية في مراكز العلاج البديل [3] إن هذه التجارب المتتالية تثبت بيقين قاطع أن ما يُسمى بـ «تأثير الدواء الوهمي» يلعب الدور الأكبر والوحيد في أية استجابة تُنسب زوراً للإبر الصينية.

وتتويجاً لهذه الصفعات العلمية، أصدر المجلس القومي الأمريكي للغش في الصحة تقريراً حاسماً بعد أبحاث مستقلة، خلص فيه إلى مقررات تهدم هذا البنيان من القواعد فقد أكد التقرير أولاً أن العلاج بالإبر الصينية ليست له أية قيمة علاجية مثبتة علمياً وأشار ثانياً إلى أن هذه الممارسة ترتكز في أساسها على مفاهيم بدائية بائدة كالقول بوجود مسارات غير مرئية للطاقة، واصفاً إياها بأنها محض خرافات طبية لا مكان لها في العلم الحديث وشدد المجلس ثالثاً على أنه طوال عشرين عاماً من الأبحاث السريرية الدقيقة، لم يثبت قط أن للإبر الصينية أي دور علاجي حقيقي في شفاء أي مرض ليختتم التقرير مقرراته بتوصية صارمة رابعاً، تطالب بضرورة التخلص من المعالجين بالإبر الصينية، وعدم السماح لهم قانونياً بممارسة هذا العبث الذي يهدد صحة المجتمع[4]

إن الإبر الصينية تُعد اليوم من أشهر الخرافات الطبية الشائعة في بلادنا، والتي يجب مواجهتها بصرامة علمية وشرعية لا تلين فالحقيقة المرة أنها لا تنفع المريض إلا بنفس القدر النفسي المحدود الذي ينفع به أي دواء وهمي كاذب لكن الفارق الجوهري بينهما، أن الدواء الوهمي (كحبة السكر) لا يُحدث أية أعراض جانبية، بينما يشكل الوخز بالإبر الصينية تهديداً مباشراً للسلامة الجسدية؛ إذ تتسبب هذه الممارسات العشوائية في إحداث التهابات بكتيرية حادة، ونقل عدوى الالتهاب الكبدي الوبائي الخطير، فضلاً عن التسبب في تشنجات عضلية قاسية وتهتك دائم في الأعصاب والأخطر من ذلك كله، أن اللجوء إلى هؤلاء المشعوذين يمنع المريض من الحصول على تشخيص طبي دقيق، مما يؤدي إلى تدهور حالته وتأخر تلقيه للعلاج الناجع وفوق كل هذه الكوارث الطبية، تظل هذه الطقوس امتداداً لأصول وثنية نابعة من ديانات جنوب شرق آسيا، تهدف إلى ربط قلب المريض بقوى خفية لا حقيقة لها بدلاً من التعلق بالشافي سبحانه.

وفي محاولة يائسة للدفاع عن هذا الوهم، قد يخرج علينا قائل محتجاً بأن بعض وخزات الإبر الصينية قد تُسكن الألم الجسدي فعلياً في بعض الحالات، متخذاً من ذلك دليلاً على صحة مسارات الطاقة والرد العلمي القاطع على هذه الشبهة يكمن في الفسيولوجيا العصبية للجسم البشري، لا في الفلسفات الباطنية فعملية تسكين الألم هنا لا علاقة لها مطلقاً بخرافة تسليك مسارات الطاقة الكونية، بل هي ناتجة ميكانيكياً عن التنبيه العصبي الناتج عن إيلام الوخز نفسه، والذي يؤدي بدوره إلى تنشيط الغدة النخامية في الدماغ، فتقوم بإفراز هرمون «الإندورفين» الذي يعمل كمسكن طبيعي داخلي للألم هذا الإجراء البيولوجي المحض لا يُسمى علاجاً للمرض، بل هو مجرد تسكين وقتي للأعراض العصبية وهنا يتجلى المكر الباطني؛ فكعادتهم دائماً، يعمد مروجو العلاج بالطاقة إلى اختطاف حقيقة علمية فسيولوجية بحتة، ويلبسونها قسراً لبوس الفلسفة الوثنية والمسارات الطاقية إنهم يسرقون آيات الله في دقة خلق الجسد البشري وما أودع فيه من آليات دفاعية، لينسبوها زوراً وبهتاناً إلى طاقة كونية مزعومة، في أكبر عملية تدليس تجمع بين الجهل الطبي والانحراف العقدي.

مسارات الوعي (الأكسس بارز) اختراق العقول واستنساخ السحر القديم

ولم تتوقف عجلة الباطنية الحديثة عن تفريخ الممارسات الخادعة، بل أفرزت لنا في أواخر القرن العشرين تقنية مستحدثة ابتكرها أمريكي يُدعى غاري دوغلاس، لتندرج تحت مظلة حركة باطنية كبرى تُعرف بـ «ولوج الوعي» وتقوم فلسفة هذه التقنية، التي اشتهرت باسم «الأكسس بارز»، على زعم غريب يفترض وجود اثنتين وثلاثين نقطة محددة في رأس الإنسان، تمثل كل نقطة منها مجالاً من مجالات الحياة؛ كالمال، والعلاقات، والإبداع، والجسد ويدعي مروجو هذه التقنية أن هذه النقاط مسؤولة عن تخزين المعتقدات والأفكار التي تعيق الإنسان عن التقدم، وأن مجرد لمسها بلطف والضغط عليها يؤدي إلى تحرير ما يسمونه بـ «الطاقة المحبوسة»، وتفعيل مسارات وهمية تسهم في تفريغ الشحنات الكهرومغناطيسية السلبية من الجسد وبحسب زعمهم، فإن هذا اللمس السحري يحرر الشخص من كافة قيوده، ويصل به إلى أعلى درجات الوعي، ليحقق جميع أحلامه بكل يسر وسهولة.

لكن بعرض هذه المزاعم الساذجة على ميزان العلم، نجد أنها لا تستند إلى أي دليل تشريحي أو بيولوجي أو طبي موثوق فلا توجد دراسة تجريبية واحدة في أروقة العلم تؤكد التأثير الفعلي لهذه النقاط المزعومة على الدماغ أو الجهاز العصبي بل إن المراجع العلمية والموسوعات الرصينة تصنف هذه الحركة برمتها تحت مظلة أنظمة الطب البديل الزائف (1) فهي ليست علاجاً معتمداً في أي جهة طبية رسمية، بل مجرد ادعاءات مصدرها مؤسس الحركة وأتباعه، ويجب هنا التمييز الصارم بين ما يصرح به مؤسس طائفة لترويج بضاعته، وبين ما هو مثبت بدراسات قائمة على أسس علمية محكمة (2) .

وحين نغوص في الجذور الفكرية لهذه الممارسة، نجد أنها تنبع مباشرة من مستنقع الفلسفات الشرقية القديمة كالهندوسية والبوذية، حيث تعتمد على فكرة الطاقة الكونية والاتحاد بالمصدر الأعلى ويُلاحظ في تعاليم هذه التقنية الاستخدام الكثيف لمصطلحات مثل الوعي الكوني، تحرير الطاقات القديمة، والاتصال بالمصدر وهي عبارات باطنية غامضة تحمل مضامين شركية صريحة في ظاهرها وباطنها؛ لأنها تنسب الشفاء، والتغيير، وجلب الرزق، وتعديل الأقدار إلى قوى غيبية مجهولة لا إلى الله تعالى.

إن الوجه الأشد رعباً في هذه الممارسة يتجلى حين يقر بعض ممارسيها بحدوث ما يسمونه «اتصالاً بأرواح عليا» أثناء الجلسات بل إن مؤسس الحركة نفسه لم يخجل من الاعتراف بأنه يمارس عملية «الوساطة الروحية»، وأنه شهد جلسات لتحضير الأرواح في أواخر الثمانينيات، ليخرج بعدها مدعياً صراحة أن بإمكانه القيام بالوساطة الروحية والتواصل مع أرواح وكيانات خفية (3) ومن بين الكيانات التي ادعى تواصله معها، شخصية الراهب الروسي الشهير «غريغوري راسبوتين»، والذي كان يُعرف تاريخياً بالراهب الأسود أو الشيطان المقدس، وكان كاهناً وساحراً مشهوراً بالضلال ويزعم دوغلاس أن روح راسبوتين هي من علمته نظام النقاط الاثنتين والثلاثين في الرأس!

ولم يكتفِ بذلك، بل ادعى تواصله مع كيانات خفية وكائنات من عوالم أخرى يطلق عليها اسم «نوفيان»، زاعماً أنها اختطفته عندما كان طفلاً في السادسة من عمره وزرعت فيه شريحة خفية إن هذه الاعترافات ليست سوى إقرار صريح بالتعامل مع الجن والشياطين، فادعاء الوساطة مع مصادر غير مرئية هو المفهوم الحديث لما يُعرف قديماً بالكهانة واستحضار الأرواح ولذلك، لم يكن مستغرباً أن تخرج تحقيقات صحفية وتحليلات أكاديمية نقدية لتصنف ممارسات هذه الحركة بأنها انحرافية، ومحفوفة بمخاطر الاستغلال المادي، وذات طابع شبه طائفي[4] .

ولتشريح هذه الخرافة من الداخل، وبأدلتهم هم، قمنا بمراجعة الكتيبات الرسمية المعتمدة في دوراتهم في الكتيب الأول المخصص للمستوى المبتدئ، يطالعنا شعارهم الرئيس: «كل ما في الحياة يأتيني بسهولة وفرح وبهاء» وهو الطعم المخدر الذي يستخدمه مروجو التنمية الذاتية لاصطياد الضحايا، موهمين إياهم بالنعيم المطلق بمجرد ترديد العبارات وفي تفاصيل الكتيب، يُفرض على المتدربين استخدام ما يُسمى بـ «المانترا»، وهي عبارة تُكرر عشر مرات صباحاً وعشر مرات مساءً بزعم أنها ستغير الحياة إنهم يطلبون من المسلم بخبث أن ينسى أذكار الصباح والمساء والأوراد الشرعية المليئة بالتوحيد والافتقار لله، ليستبدلها بهذه المانترا التي ليست في حقيقتها سوى تعويذة وثنية مأخوذة من رحم الديانات الهندوسية.

ويبلغ العبث الفكري ذروته حين يصرح مؤسس الحركة في ذات الكتيب بأن وجهة نظرهم الثابتة هي أن العقل البشري شيء خطير، ويجب التخلص منه، قائلاً بنصه: «إن كنت تفكر فأنت تتعفن»! ويضيف أن مهمتهم هي إجراء مسح كامل لعقلك ومنحك لوحاً أبيض وهنا تتجلى المفارقة المضحكة المبكية؛ فمن يدعي أنه سيرفع وعيك، هو ذاته الذي يطلب منك أولاً أن تلغي عقلك تماماً! إنهم يدعون أتباعهم إلى الانقياد الأعمى، ليصبحوا مجرد مسلوبي الإرادة، ينفذون ما يُملى عليهم دون اعتراض أو تفكير وهذا يتطابق تماماً مع ما قررناه في المباحث السابقة من أن الشياطين لا يمكنها السيطرة على الإنسان إلا إذا أُخمد عقله وتُعطلت ملكة النقد لديه بينما نجد أن القرآن الكريم العظيم لا يفتأ يؤكد في مئات الآيات على استخدام العقل، والتدبر، والتفكر، واصفاً إياها بصفات أولي الألباب إن الهدف الحقيقي من إلغاء دور العقل في هذه الجلسات هو غسل الدماغ، والتحكم الكامل بالإنسان، وتسليم قياده للكيانات الشيطانية.

أما في الكتيب الثاني المسمى «الأساس»، فيكشف دوجلاس عن وجهه الحقيقي قائلاً للمتدربين: «ماذا نحن على أهبة فعله هذا الأسبوع؟ تحطيم واقعك» وهذا التصريح الجريء يلخص غايتهم الكبرى؛ فهم يسعون لهدم ثوابت الإنسان، دينه، عقيدته، صلته بربه، وعلاقاته الأسرية، ليخلقوا منه مسخاً منبت الجذور وتُستكمل فصول السحر بما يسمونه «الجملة المجلية» أو الجملة السحرية، وهي تعويذة تُقال باللغة الأجنبية في بداية كل جلسة، ويُشترط بصرامة ألا تُترجم للمتدرب، بحجة أن مفعولها لن يتحقق إن فُسرت! وهذا هو دأب السحرة في كل زمان؛ التمتمة بكلمات غير مفهومة وعندما يغوص الباحثون في معنى هذه الجملة، يجدون أنها تحمل معاني التأله المبطن وعبادة الذات، واستدعاء لكيان خفي يسمونه «خادم الجملة» وفي ظل حالة الاسترخاء التام وتغييب الوعي، تتسلط هذه الكيانات الشيطانية على المتدرب ليقع في فخ الشرك بالله من حيث لا يدري ولم ينسَ دوجلاس في هذا الكتيب أن يعلن صراحة عن تبنيه لعقيدة «التناسخ»، مؤكداً أن الإنسان يعيش حيوات متعددة، وهي العقيدة الكفرية التي تنسف أصول الأديان السماوية كافة.

في النهاية، تتكشف لنا الحقيقة المروعة بالدليل القاطع؛ إن هذه التقنية المزعومة ليست سوى استنساخ للسحر الأسود، واستحضار مقنع للجن بأساليب خادعة تُغلف بعبارات التنمية، والطاقة، وولوج الوعي فكل من يدعي أنه يعالج بهذه التقنيات، أو يخبرك بأن لمس مسارات رأسك سيغير أقدارك، فاهرب منه فوراً وحذر الناس من ضلاله، لأنه يمارس الكهانة الحديثة تحت غطاء التدريب، والله تعالى قد حسم مآل هؤلاء بقوله: {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} وإننا لنستعيذ بالله من شياطين الإنس والجن، ونستحضر في هذا المقام قوله تعالى الواصف لعلاقة هؤلاء المخدوعين بتلك الكيانات الخفية: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام: 128] فهذه الآية الكريمة تفضح كيف يستمتع كل فريق بالآخر في طريق الضلال؛ الجن بالسيطرة والإغواء، والإنس بقضاء الحوائج الوهمية، حتى يأتي اليوم الموعود ليُحاسب فيه الجميع على ما اقترفوه من استغاثة بغير الله وركون إلى الشياطين.

قانون الجذب خديعة تأليه الذات والدجل الفيزيائي

ولعل من أكثر الإفرازات الباطنية رواجاً وفتكاً بعقائد العوام في عصرنا الحالي، ما يُروج له تحت مسمى «قانون الجذب» يزعم مروجو هذه الخرافة أنه قانون كوني صارم يُمكِّن الإنسان من اجتذاب كل ما يشتهيه من الحياة، سواء أكان صحة، أو سعادة، أو ثروة، أو حباً، بمجرد الرغبة فيه وتعتمد هندسة هذا القانون الموهوم على فكرة خبيثة تفترض أن تركيز الإنسان العقلي والشعوري على شيء ما، يبعث ذبذبات من طاقته الداخلية نحو الكون، ومن ثم يقوم الكون بتلبية هذا النداء وجذب الهدف إليه حتمياً، بغض النظر عن سعي الإنسان الحقيقي أو إرادة خالقه ولذلك، تُكرس دورات التنمية الذاتية جهودها لتدريب الضحايا على كيفية التركيز الخيالي لتوجيه هذه الذبذبات المزعومة نحو أهدافهم لتجذبها.

وعند وضع هذا «القانون» على مشرحة النقد العقدي، نجده مبنياً على فلسفة إلحادية صريحة لا تؤمن بالله الخالق، الرازق، المدبر، الحكيم، بل تؤمن بعالم غيبي ميكانيكي أصم ولتأكيد هذا الكفر البواح، يكفي أن نطالع ما كتبه أحد أشهر مؤلفي كتب قانون الجذب في الغرب موضحاً هذه الفلسفة حين قال: "إن الكون ليس ذكياً ولكنه مطيع، فهو لا يميز إن كانت الذبذبات التي ترسلها نافعة لك أو مضرة، أو إن كنت تريد الأمر حقاً أو لا، إنه مطيع وفقط، ولذلك سُمي قانوناً" وبناءً على هذا التصريح الفاسد، فإن من يحاولون أسلمة هذا القانون من المنتسبين للإسلام، يجعلون من الله جل جلاله – والعياذ بالله – مجرد وسيلة ذهنية أو طاقة عمياء تحقق للإنسان ما يريد، بلا إرادة إلهية، ولا اختيار، ولا حكمة يُعطي على أساسها أو يمنع تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً.

إن حقيقة هذا السر المزعوم ليست سوى ترجمة عملية معاصرة لعقيدة «وحدة الوجود» التي تمثل قلب الفلسفة الشرقية، وتطبيقاً حديثاً لضلالات فرقة القدرية نفاة القدر ولهذا نجد أن منتجي فكرة قانون الجذب ومسوقيها هم في الأصل أفراد ينتمون للحركات الباطنية الغربية كحركة العصر الجديد، وحركة الفكر الجديد فهؤلاء دأبوا على تغليف العقائد الشرقية الوثنية في كبسولات معاصرة تدعي أنها أنظمة حياتية تقود للنجاح لكن الهدف الحقيقي والمبطن هو تعميق الاعتقاد بألوهية الإنسان، وإقناعه بقدراته غير المتناهية، وتدريبه على الاستغناء التام عن ربه فشتان بين مؤمن يعمل بجد، ويسعى بتفاؤل، ويتضرع بثقة وحسن ظن لمن بيده ملكوت كل شيء، الغني القادر المانع المعطي، وبين غافل غارق في ضلالات تأليه ذاته، يظن أنه يجذب أقداره ويتحكم في مستقبله بذبذبات صدره.

ولم يكتفِ هؤلاء بالسطو على العقيدة، بل حاولوا اختطاف العلم لكن العلم التجريبي الصارم يقف بالمرصاد لهذا الهراء؛ فيكفي أن الباحث المتخصص في فضح العلوم الزائفة مايكل شيرمر، نشر بحثاً مطولاً في مجلة «الأمريكي العلمي» المرموقة، ينعى فيه هذه السخافة المسماة بقانون الجذب، ويصف دعاتها بشدة بأنهم أقرب للمخابيل[1] .

لكن المأساة الحقيقية تكمن في دعاة العلاج بالطاقة وقانون الجذب في بلادنا الإسلامية، الذين يمارسون تدليساً مركباً لترويج بضاعتهم، فيعمدون إلى طلاء خرافاتهم بـ «مسحتين» خادعتين لتمريرها على العوام والجهلة مسحة شرعية، ومسحة علمية.

أولاً: تفنيد المسحة الشرعية يحاول هؤلاء استغلال النصوص المقدسة في غير موضعها، فيزعمون أن قانون الجذب هو التفسير العملي لحسن الظن بالله، مستدلين بالحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي» لكن التدليس هنا مفضوح؛ فقانون الجذب لا يعتمد على إحسان الظن بالله، بل يعتمد على إحسان الظن بالطاقة الكونية، وإحسان الظن بقوة الذبذبات المنطلقة من البدن، وإحسان الظن بصلاحية قانون الجذب نفسه فهل عبادة الطاقة تُسمى إحساناً للظن بالله؟ ويستدلون بجهل مركب بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ}، ومن المعلوم في دين الإسلام بالضرورة أن تغيير ما بالنفس يكون بالتوبة، وصلاح العمل، وترك الشرك، وليس بـ «ضبط الذبذبة» كما يفترون ويعتمدون على مقولة: «تفاءلوا بالخير تجدوه»، وهو أثر موضوع مكذوب لا يصح نسبته للنبي ﷺ أصلاً! ورغم أن الدعوة للتفاؤل محمودة شرعاً لأنها تدفع للعمل والأخذ بالأسباب، إلا أن مجرد التفاؤل المجرد لا يجذب النفع المادي ولا يدفع الضر الكوني ويصل بهم العبث إلى الاستدلال بحديث: «إنما الأعمال بالنيات»، ولا ندري ما علاقة هذا الحديث العظيم بضبط الترددات؟ فالنية عمل قلبي لتحديد وجهة القصد، والثواب يكون بناءً عليها، هذا هو منطوق الحديث ويبدو أن حال هؤلاء المدلسين كما وصفه الإمام الذهبي رحمه الله حين قال: «من رام الجمع بين علم الأنبياء وعلم الدجاجلة خالف هؤلاء وهؤلاء».

ثانياً: تفنيد المسحة العلمية والفيزيائية يروج دجاجلة قانون الجذب لضلالتهم على أنها قضية علمية فيزيائية بحتة، وهذا من أكبر الكذب والدجل الذي لم تشهده المجامع العلمية فقانون الجذب المزعوم وضبط الذبذبات لا علاقة لهما بأي قانون فيزيائي عرفه البشر بل إن الفيزياء الحقيقية تشرح عكس ادعاءاتهم تماماً؛ ففي قوانين الفيزياء، حين تهتز المادة، فإنها لا تهتز إلا وفق ترددات محددة تعتمد على كتلة ومرونة الجسم، وليس للإنسان أن يزيد اهتزازها أو ينقصه بخياله، بل يخضع لقوانين صارمة تتعلق بتغيير الكتلة والأهم من ذلك، أن هذه الاهتزازات المادية ليس لها أي «خاصية جذب» فيزيائية أصلاً فلا يوجد في العلم شيء يُعرف بالجذب من خلال الذبذبة بل إن المادة عند درجة الصفر المطلق لا تهتز بأي صورة، لأن طاقة حركتها تتساوى مع الصفر.

ثم إن جسم الإنسان ليست له كتلة فلكية معتبرة (كالأرض أو الشمس) ليستطيع جذب أي شيء بقوة الجاذبية، كما أن شحنته الكهربية الكلية متعادلة، فلا هو يجذب الأشياء مغناطيسياً ولا يطردها إن ما يُسمى بقانون الجذب هو محض هراء علمي وكذب على أعلى مستوى فلا النية، ولا التفكير، ولا التركيز الشعوري المجرد يملك أي قدرة فسيولوجية أو فيزيائية للتأثير المادي على العالم الخارجي وتغيير الأقدار وتأكيداً لهذا، أجرى علماء من جامعة كورنيل الشهيرة تجربة دقيقة حول ارتباط النية والتفكير بإحداث تغيرات مادية في المحيط الخارجي، لتتبين النتيجة القاطعة بأن هذه الفكرة محض وهم وخيال [2] وقد حسمت مجلة «لايف ساينس» العلمية هذا العبث بتصنيف قانون الجذب كأحد العلوم الزائفة المنتشرة في الثقافة الشعبية [3] وفي اعتراف صريح يفضح المستور، يقر دعاة هذه الفلسفة أن فكرة الذبذبة هي في أصلها فكرة ميتافيزيقية غيبية مستمدة من الديانة البوذية، وليست فيزياء [4] بل إن روندا بايرن، المؤلفة وأشهر مروجي هذا القانون في العالم، صرحت بعقيدتها بوضوح حين قالت لقرائها: "أنت إله في جسد مادي[5] "

ولو لم يكن في قانون الجذب سوى هذه الشبهة الصريحة في مقام التوحيد لكان ذلك كافياً لرده ورفضه مطلقاً، لكننا نُمعن في الرد لتفكيك محاولاتهم إلباس الكفر ثوب العلم خداعاً للجهلة ومن أشد كوارث هذا القانون الأخلاقية، أنه يتهم المرضى والمبتلين والفقراء بأنهم هم السبب الوحيد في معاناتهم؛ لأنهم، بزعم القانون، مَن جذبوا الفقر والمرض لأنفسهم بتفكيرهم السلبي، لاغياً بذلك حكمة الابتلاء والقدر الإلهي.

ويبلغ العبث منتهاه حين يسمونه «قانوناً» وهو يفتقر لأدنى شروط القوانين العلمية؛ فلا يمكن إثباته بالتجربة، ولا يمكن التنبؤ بنتائجه، ولا يمكن نقضه معملياً لكنهم يصرون على المصطلحات العلمية لاصطياد البسطاء ومن طوام هذا القانون الكفري، علاوة على ما سبق، أنه يعظم الدنيا تعظيماً مرضياً، ويجعل شهواتها ومادياتها منتهى الرغبات وغاية الأماني، فمشروع القانون بأكمله لا يتجاوز تحصيل رغبات دنيوية زائلة وأعظم بلاياه على الإطلاق هو تقديس النفس الإنسانية وتأليهها، واعتبار الإنسان رباً صغيراً يحقق ما يريد بذبذباته، وإلغاء مفهوم الإله الحكيم، لتصبح مهمة الكون تلبية الرغبات دون تمييز تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وصدق فيهم وصفه العظيم: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ} [النحل: 73] .

الإسقاط النجمي وتجارب الاقتراب من الموت هلوسات العقل وتلبيس إبليس

في محاولة متجددة لكسر حدود المادة والتمرد على الغيب الذي اختص الله به نفسه، تبرز في الفلسفات الروحية الحديثة، وخاصة ضمن حركة العصر الجديد، فكرة ما يُسمى بـ «الإسقاط النجمي» وهو مصطلح حداثي يُستخدم لوصف خرافة خروج «الجسد النجمي» أو الروح من الجسد المادي، مع بقاء وعي الإنسان متيقظاً، بحيث يزعم الممارس أنه يرى نفسه نائماً من أعلى، ثم يبدأ في التجول الحر في العالم المادي أو حتى اختراق عوالم روحية موازية ويُروج لهذه الخرافة على أنها تجربة روحية متقدمة تمكن الإنسان من اكتشاف ذاته العليا والتواصل مع العوالم الأخرى.

لكن المفتش في جذور هذه الفكرة يدرك فوراً أنها ليست كشفاً علمياً جديداً، بل هي امتداد حرفي لأفكار وثنية وباطنية ضاربة في القدم ففي الفلسفة الهندوسية، يُزعم أن الإنسان محاط بطبقات من الأجساد غير المرئية؛ تبدأ بالجسد المادي، ثم الجسد الأثيري أو النجمي، وصولاً إلى الجسد العقلي والعلوي ويعتقدون أن الجسد الأثيري يمتلك القدرة على الانفصال المؤقت أثناء النوم أو التأمل العميق ليسبح في «عالم الأثير» وقد تسربت هذه الخرافات لاحقاً إلى الفكر الغربي عبر بوابات الباطنية القديمة كالهرمسية والغنوصية المتأثرة بالسحر المصري واليوناني، حيث كانوا يؤمنون بفكرة الصعود الروحي عبر العوالم الكونية، معتقدين أن الإنسان يحمل شرارة إلهية تمكنه من تجاوز العالم المادي ليتحد بالعقل الكلي أو الإله الباطني وفي القرن التاسع عشر، تولت هيلينا بلافاتسكي إحياء هذه الوثنية عبر ما يسمى بالثيوصوفية، لتتلقفها أخيراً حركة العصر الجديد وتمزجها بالتأمل الشرقي والطاقة والتنجيم.

وتقوم الفلسفة الباطنية للإسقاط النجمي على ثلاث ركائز كفرية صريحة الركيزة الأولى: ادعاء أن «الإنسان إله مصغر»، وأن بداخله جوهراً إلهياً يمكنه من التحكم المطلق في الواقع والزمان والمكان متى ما أدرك حقيقته الركيزة الثانية: الإيمان بـ «تعدد طبقات الوجود»، حيث يزعمون أن العالم المادي مجرد قشرة من سبع طبقات متداخلة، وعند الخروج النجمي ينتقل الوعي للطبقة الأثيرية أما الركيزة الثالثة والأخطر: الزعم بأن «الوعي لا يموت»، فالموت عندهم ليس حقيقة يقينية بل مجرد انتقال ميكانيكي للوعي من طبقة لأخرى، ولهذا يدربون أتباعهم على الخروج من الجسد لتسهيل عملية العبور بعد الموت، في إنكار صريح للبعث والحساب.

تجارب الاقتراب من الموت

يخرج علينا من مروا بحوادث مروعة أو غيبوبة عميقة ليصفوا شعورهم بالخروج من أجسادهم، ورؤية نور قوي في نهاية نفق طويل وغالباً ما يزعمون أنهم التقوا بكائن نوراني يستقبلهم بمحبة غير مشروطة، أو رأوا أقاربهم الموتى يرحبون بهم، مما يورثهم شعوراً بالسلام العميق وعدم الرغبة في العودة للحياة ثم يروون تفاصيل مذهلة عن قيام هذا الكائن بعرض شريط حياتهم بالكامل أمامهم.

لكن ما حقيقة هذا النور؟ ومن يكون هذا الكائن النوراني الذي يبشرهم بالسلام؟ إن التفسير العلمي والشرعي الموثق يؤكد أن ما يحدث في تلك اللحظات الحرجة هو حالة فسيولوجية ونفسية شديدة التعقيد، تنتج عن نقص الأكسجين الحاد واضطراب وظائف الدماغ عند اقتراب الموت في هذه اللحظة، تختلط الصور والذكريات، ويُنتج الدماغ المنهار ضوءاً داخلياً وهمياً بسبب النشاط المفرط والعشوائي في مراكز الإبصار أما ذلك «الكائن النوراني» الذي يبث الطمأنينة الزائفة، فليس ملاكاً من ملائكة الرحمن كما يُروجون، بل هو إما تجسيد متخيل من كوامن النفس، أو تدخل شيطاني مباشر يحاول خداع الإنسان في أشد لحظات ضعفه؛ ليصرفه عن التوحيد الخالص، ويوهمه بأن ما بعد الموت ليس فيه حساب ولا عقاب ولا ميزان، بل مجرد نور وسلام دائم للجميع بغض النظر عن عقائدهم.

إن الحقيقة القرآنية الساطعة تقرر أن الإنسان عند الموت يفارق الدنيا إلى عالم البرزخ، ولا مجال فيه للعبث أو السلام المطلق للظالمين، بل تتنزل الملائكة بحسب حال العبد وإيمانه وعمله قال تعالى يصف حال المجرمين: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} [الأنعام: 93] .

وتتجلى الخطورة العقدية لهذه التجارب في القصص التي تُروى لتأسيس ما يُسمى بـ «دين الإنسانية» ففي حادثة شهيرة، روت فتاة بعد إفاقتها من الغيبوبة أنها رأت كائناً نورانياً أخبرها صراحة أن مساعدة عجوز في عبور الشارع تكفي وحدها لدخول الجنة، وأن من يُطعم القطط فهو إنسان صالح مقبول عند الله بلا قيد ولا شرط! واعترفت الفتاة أن هذه التجربة جعلتها تشك في الدين الإسلامي لأنها وجدت «فهماً جديداً» لا يشترط العبادة هنا يظهر التلبيس الإبليسي؛ فالشيطان يسعى جاهداً لفصل الأخلاق عن الإيمان، لإقناع البشر بأن الرحمة المجردة واللطف يكفيان للنجاة، وأن العبادات والصلاة والتوحيد أمور ثانوية لا قيمة لها لكن الإسلام يحسم هذا العبث؛ فالأعمال الصالحة مهما بلغت نبلها لا تُقبل عند الله إلا بشرطين لا تنازل عنهما: الإيمان الخالص بالله وتوحيده، والإخلاص في العمل فبدون الإيمان، تتحول الأخلاق إلى سراب لا وزن له في ميزان الآخرة، مصداقاً لقوله تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا} [الفرقان: 23] .

إن ما يحدث في تجارب الاقتراب من الموت هو في حقيقته حلم شيطاني يُلقى في ذهن الإنسان في حالة الضعف بين الوعي والغيبوبة ومن خلاله، يزين الشيطان الموت للإنسان ويحببه إليه ليقطع عليه طريق التوبة المتبقي، بل قد يدفعه للانتحار طلباً لهذا النور الموهوم، متناسياً الوعيد النبوي المرعب: «مَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» (متفق عليه) .

السقوط العلمي لخرافة الخروج من الجسد وعلى الصعيد العلمي التجريبي، فإن الجسم الأثيري أو النجمي ليس أكثر من خيال وثني لا يملك ذرة من دليل إن ما يصاحب ادعاءات الإسقاط النجمي من مشاهدات، هو دائماً وأبداً نوع من الهلوسة وضعف الإدراك الناتج عن الممارسات التقشفية القاسية أو الحرمان من النوم والطعام وقد حُسم هذا الجدل بتجربة علمية مدهشة؛ حيث تم حقن مجموعة من المتطوعين بعقاقير مهلوسة، وكانت النتيجة الصادمة أن هؤلاء الأفراد وصلوا إلى مرحلة مطابقة تماماً لما يصفه مدعو الإسقاط النجمي من تجارب خروج من الجسد وسباحة في الفضاء مما يثبت يقيناً أن الإسقاط النجمي ليس سفراً بالروح، بل هو هلوسة سمعية وبصرية ناتجة عن اضطراب كيمياء الدماغ[1]

وهذا التطابق هو ما أكد عليه عالم الأمراض النفسية دونوفان راكليف في بحث مستقل، حيث بيّن أنه لا يوجد أي فرق تشخيصي بين خبرات تجربة الإسقاط النجمي وبين حالات الوهم المرضي الناشئ عن الهلوسة العقلية [2] ويسخر العلم من هؤلاء موضحاً أن علاج هذه «الرحلات النجمية» المزعومة لا يتطلب سوى وجبة طعام مغذية وقسط من الراحة الذهنية والنوم الطبيعي ليعود الدماغ لعمله! وفي عام ألف وتسعمائة وثمانية وسبعين، ادعى شخص يُدعى إنجو سوان قدرته الخارقة على الإسقاط النجمي والسفر بجسمه الأثيري لرصد كوكب المشتري تم التعامل مع ادعاءاته بجدية علمية، وعُرضت الأوصاف التي أخبر بها على باحثي الفلك، ليتبين مرة أخرى أننا أمام هلوسة بصرية بحتة لا تتطابق مع الحقائق الفلكية للكوكب [3] ومن أجل ذلك، وفي حسم علمي نهائي، تم تصنيف الإسقاط النجمي كواحد من أبرز العلوم الزائفة في موسوعة العلوم الزائفة المعتمدة[4]

وفي ختام هذا المبحث، لابد من تأصيل شرعي يقطع دابر هذه الفلسفات فقد سُئلت الدكتورة فوز بنت عبد اللطيف كردي، أستاذة العقيدة والمذاهب المعاصرة، عن حقيقة «الجسم الأثيري» وهل له أصل في الشرع أم هو مجرد خزعبلات؟ فجاء جوابها القاطع بأن الجسم الأثيري هو قول مبني على نظرية فلسفية يونانية قديمة تفترض وجود مادة وهمية تُسمى الأثير تملأ الفراغ، سماها أرسطو بالعنصر الخامس السامي وقد أثبت العلم الفيزيائي الحديث بطلان وعدم وجود هذه المادة المسماة بالأثير أساساً، لكن الفلسفات الوثنية الباطنية لا تزال متمسكة بها لترويج أوهامها المتعلقة بالأجساد الخفية والطاقات الغيبية[5]

والمؤلم حقاً، أن نرى ما جاءت الشريعة الإسلامية المطهرة بمحاربته، والحكم عليه بالشرك والوثنية والكهانة، يُقدم اليوم في بلادنا على أنه «علم» حداثي، تُعقد له الدورات الباهظة، وتُمنح فيه الألقاب والشهادات، وينساق المغيبون خلف دجاجلته، لتبدأ رحلتهم من مجرد استرخاء وهمي لتنتهي بفتح مسارات وعيهم لسيطرة الشياطين وتدمير عقائدهم.

الترانيم الوثنية (مانترا أوم) هندسة الصوت لاستدعاء الشياطين

ولم يكتفِ مهندسو الفلسفات الباطنية بتطويع الجسد والخيال لتمرير عقائدهم، بل امتد مكرهم إلى اختطاف "الصوت" البشري وتحويله إلى أداة سحرية، فبرزت تعويذة «المانترا» كأحد أخطر الأسلحة الموجهة لاختراق الوعي وتتصدر المشهد في قاعات العلاج بالطاقة ومراكز اليوجا تعويذة هندوسية محددة تُعرف بـ «مانترا أوم»، وتعتمد ممارستها على الترديد الرتيب والمستمر لكلمة "أوم" بصوت خفيض ونغم متصل وهذه الكلمة ليست مجرد مقطع صوتي للاسترخاء كما يُروج لها، بل هي من أقدس الكلمات وأعظم الرموز الدينية في الديانة الهندوسية قاطبة إذ يعتقد سدنة هذه الديانة أن المقاطع الصوتية لهذه التعويذة تجسد مراحل الخلق، والوجود، والفناء، وأنها تمثل الاهتزاز الأول الذي خُلق منه الوجود كله [1]

ولا يقتصر استخدام هذه التعويذة على الهندوسية فحسب، بل تمتد لتملأ جنبات المعابد في الديانتين البوذية والجينية، حيث تُعد الركن الركين في طقوسهم وتتفق هذه الفلسفات الوثنية على أن كلمة "أوم" تعني في جوهرها: الاتحاد المطلق، أي ذوبان الإنسان في الكون، وصولاً إلى الادعاء بالاتحاد مع الله أو تصريح الممارس بأنه هو الله [2] وقد طفحت أقدم النصوص المقدسة عند الهندوس، وتحديداً نصوص «الأوبانيشاد»، بتمجيد هذه الكلمة؛ حيث تُقرر إحدى العبارات المحورية في تلك النصوص أن "أوم" هي هذا الكون كله، وهي الماضي والحاضر والمستقبل، وما يتجاوز حدود الزمن، في إشارة صريحة إلى أن هذه الكلمة هي التجسيد الصوتي للإله المطلق «برهمان» الذي يزعمون أن الوجود كله قد انبثق منه ولذلك، توجد هذه التعويذة بكثافة في نصوص الفيدا، ويصدح بها الهندوس في صلواتهم، وحفلات زفافهم، وخلواتهم التأملية، فهي أشهر تعويذة عندهم [3]

ولإضفاء عمق فلسفي مزيف على هذا الطقس، فكك الفكر الباطني هذه الكلمة إلى ثلاث حالات للوعي؛ زاعمين أن نطق الحرف الأول يمثل حالة اليقظة والوعي بالعالم المادي، وامتداد الحرف الثاني يجسد حالة الحلم والوعي الداخلي، بينما يمثل الحرف الأخير حالة النوم العميق والوعي الباطني أما الصمت التام الذي يجب أن يعقب ترديد التعويذة، فهو يرمز عندهم إلى اختراق حواجز الوعي البشري، وبلوغ لحظة الاتحاد التام بالإله الكلي إنها فلسفة تعتمد على تحويل الكلمة إلى أداة لتجسيد عقيدة «وحدة الوجود»، حيث يُنظر إلى الكون بأسره على أنه مجرد اهتزاز طاقي واحد، وأن هذه التعويذة هي ترديده الأصلي ومن رحم هذه الضلالة الصوتية، نبتت فكرة الذبذبات والترددات التي غزت ممارسات الريكي، والتأمل التجاوزي، والإسقاط النجمي، لتشكل العمود الفقري لحركة العصر الجديد.

إلى هنا، نحن نتحدث عن طقس وثني صريح، وطلسم شركي متجذر في ديانات شرق آسيا، يحمل مدلولات كفرية واضحة كالتوحد مع المطلق وعبادة الكون فكلمة «مانترا» في أصلها اللغوي والعقدي تعني حرفياً: التعويذة السحرية لكن الفاجعة الكبرى تكمن في أن دعاة العلاج بالطاقة ومدربي اليوجا في بلادنا، قد استقدموا هذه التعويذة بحذافيرها، وأدخلوها إلى قلب بلاد المسلمين، وباعوها في دورات التنمية الذاتية على أنها مفتاح للسلام الداخلي وتفريغ الشحنات السلبية!

وكما يذكر التاريخ بأسى قصة عمرو بن لحي الخزاعي، الذي جلب الأوثان من الشام ليدنس بها جزيرة العرب ويبدل دين إبراهيم الخليل، حتى قال فيه النبي ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي يجر قُصْبَهُ في النار»؛ فإننا نشهد اليوم نسخة عصرية من هذا الاستجلاب الوثني فدعاة العلاج بالطاقة فرحوا بهذه التعاويذ الشركية، وحرصوا على استنباتها في بلاد التوحيد بلا حياء ولا خجل ولما أدرك بعضهم، بخبث وحيلة، أن استخدام لفظة "أوم" الصريحة قد يثير ارتياب المسلم وفطرته، لجأوا إلى تحويرها قليلاً، فاستبدلوها بترديد صوتي متموج لحرف الميم "إم، إم، إم"، محتفظين بنفس الرنين والغاية الباطنية، وكأن تغيير اسم الصنم ينفي عنه صفة الوثنية!

ولم يقف التدليس عند هذا الحد، بل لجأ بعض دعاة الطاقة العرب إلى أسلوب أشد مكراً لتلبيس هذه الوثنيات مسحة إسلامية مزيفة، فاستبدلوا المانترا الهندوسية بـ «أسماء الله الحسنى»، آمرين المتدربين بتكرار اسم معين من أسماء الله بعدد محدد وبنغم رتيب يشبه طنين المانترا، زاعمين أن هذا التكرار يولد طاقة شفائية أو ذبذبة لجذب الرزق وهذا من أعظم الافتراء على الله، وتفريغ لأسماء الجلال والكمال من معانيها التعبدية لتُعامل معاملة الطلاسم السحرية ولقد حذر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قديماً من هذا المسلك الخفي حين قرر قاعدة ذهبية قائلاً: «الرقى والعزائم الأعجمية تتضمن أسماء رجال من الجن يُدعون، ويُستغاث بهم ويُقسم عليهم بمن يعظمونه، فتطيعهم الشياطين بسبب ذلك في بعض الأمور، وهذا من جنس السحر والشرك» وما هذه المانترا إلا تطبيق حرفي لهذا الوصف الدقيق، دعاءٌ واستغاثةٌ بغير الله تحت غطاء الاسترخاء، مصداقاً للإنكار الإلهي القاطع: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: 56]

إن الإسلام يرفض هذا العبث الباطني رفضاً جازماً، ويقطع الطريق على كل محاولة لدمج الخالق بالمخلوق فالله جل جلاله خالق مباين لخلقه، مستوٍ على عرشه، لا يحل في الكون ولا يمتزج بالمخلوقات ولا يوجد في دين الإسلام ذكر أو ترديد مجرد يرفع الإنسان روحانياً بمعزل عن الوحي، بل السبيل الأوحد هو ما شرعه الله من تلاوة القرآن وصحيح الأذكار بفهم وتدبر وافتقار، تحقيقاً لقوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة: 5] ومن زعم، كذباً وتدليساً، أن هذه الممارسات أو التمتمات تفيد في جلب طاقة، أو تعالج داءً، أو تفتح بصيرة بدون دليل من الشرع القويم أو الطب الصحيح، فإنه متقول على الله بلا علم، وخائض في مستنقع الشرك، ومكذب للتحذير القرآني الصارم: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 33] .

(الفينغ شوي) هندسة الوثنية وخرافة الأشكال

ولم يكتفِ دعاة الباطنية بالسيطرة على جسد الإنسان وروحه، بل امتد عبثهم إلى محيطه المكاني ومسكنه، فاستجلبوا ممارسة صينية قديمة تُعرف بـ «الفينغ شوي» وتُقدم هذه الممارسة اليوم في دورات التصميم الداخلي على أنها فن لضبط ديكور المنزل وترتيب أثاثه، زاعمين أن هذا الترتيب يجلب الطاقة الإيجابية ويطرد الطاقة السلبية وفق المفهوم الطاوي للقوى المتضادة (الين واليانج) وتدعي هذه الفلسفة أن تصميم المنزل باختيار زوايا وأشكال هندسية محددة، وتوزيع الأثاث والألوان، بل وحتى الحروف والأرقام بحسب مواقع النجوم والأفلاك، يُسهم في تدفق الطاقة الكونية بسلاسة، مما يجلب لأهل البيت الثراء والصحة والتوفيق الزوجي.

لكن بوضع هذه الممارسة تحت مجهر العقيدة، نكتشف أننا لسنا أمام مجرد هندسة ديكور، بل نقف أمام كومة متراكمة من الكفريات والشركيات الصريحة فالفينغ شوي يرتكز أساساً على الاعتقاد بتأثير الكواكب والأفلاك على أقدار الناس، والإيمان بقوة التمائم والطاقات الكونية الخفية إن صناعة الطلاسم، واختيار الأشكال الهندسية، وتعليق البندولات، والاعتقاد بأن جماداً كحجر أو زاوية جدار يورث منفعة أو يدفع مضرة، هو عين الشرك الذي حاربه الإسلام واجتث جذوره فالله جل جلاله يقول في محكم تنزيله: {بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا} [الرعد: 31]، وقد حسم النبي ﷺ هذا الباب بقوله الصريح: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» [1] ولقد شخص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الداء بدقة حين قال: «صناعة طلاسم تورث منافع وتدفع مضار هو الشرك الأكبر» [2] والاعتقاد بوجود طاقة كونية في زوايا المنزل أو أثاثه، يدور حكمه كما فصلنا سابقاً بين الشرك الأكبر والأصغر بحسب اعتقاد فاعله وإذا كان تعريض مبنى التوحيد لأدنى شبهة هو أمر يجب الانصراف عنه والابتعاد منه تماماً لدى كل عاقل وحكيم، فكيف بمن يتعرض لأصل مقام التوحيد في هذه الفلسفات والتطبيقات في كل لحظة من حياته وتفاصيل مسكنه!

وتتفرع عن هذه الضلالة صور حديثة وأسماء براقة أخرى مثل «البايوجيومتري» و«الستاباتيا فيدا» الهندية، والتي من أشهر خرافاتها الإيمان المطلق بالقوة السحرية للشكل الهرمي يزعم مروجو هذه الخرافة أن الجلوس داخل مبنى هرمي الشكل يزيد من الصحة والطاقة الإيجابية، بل ويحفظ الأطعمة من التعفن والفساد لفترات طويلة، ويحافظ على حدة الشفرات المعدنية وهنا لابد من التذكير بالقاعدة الفيزيائية الصارمة: لا يوجد علمياً شيء يُسمى طاقة إيجابية أو سلبية بالمعنى الذي يطرحونه، فهذه مسميات نظرية افتراضية سرقوها من الفيزياء الكهرومغناطيسية ولَووا أعناقها فافتراض أن زاوية في المنزل تشع طاقة إيجابية زائدة، أو أن حجراً أو شكلاً هندسياً يطرد طاقة سلبية، هو محض كذب ودجل لا رصيد له في العلم التجريبي.

أما عن أسطورة الشكل الهرمي وحفظه للطعام، والتي راجت بين العامة كواحدة من بقايا العلوم الزائفة الشعبية، فقد تصدى لها العلم التجريبي بصرامة فلقد كان للدكتور عبد المحسن صالح، أستاذ علم الكائنات الدقيقة بجامعة القاهرة وعضو جمعية الميكروبيولوجيا التطبيقية، صولات وجولات في كشف هذه الخرافة عملياً فقد قام بتجربة ميدانية دقيقة أودع تفاصيلها في كتابه «الإنسان الحائر بين العلم والخرافة» [3] توجه الدكتور بفريقه إلى الهرم الأكبر بالجيزة، ووضع عينات من اللحوم ومرق اللحم داخل أطباق وأنابيب معقمة في حجرة الملك وفي سرداب أرضي عميق داخل الهرم، ووضع عينات مشابهة تماماً خارج الهرم للمقارنة، مع تسجيل درجات الحرارة التي كانت أعلى في الخارج

وبعد مرور يومين، كانت المفاجأة التي نسفت أسطورة طاقة الشكل الهرمي؛ فقد فاحت رائحة التعفن بشكل منفر من جميع العينات وعند إجراء التحليل البكتيري الدقيق في المختبر، جاءت الأرقام كالصاعقة: العينات التي كانت خارج الهرم احتوت على أربعة عشر بليون بكتيريا في الجرام الواحد، بينما العينات التي وُضعت في حجرة الملك داخل الهرم بلغت ثمانية وعشرين بليوناً، والعينات في السرداب وصلت إلى ثمانية وخمسين بليون بكتيريا في الجرام الواحد! لقد أشارت هذه الأرقام إلى حقيقة علمية واضحة؛ وهي أن نمو البكتيريا وتعفن اللحوم داخل الهرم كان أسرع وأكبر من خارج الهرم بمقادير تتراوح بين مرتين إلى أربع مرات، رغم أن الحرارة في الداخل كانت أقل والنتيجة الحتمية هي تحطم خرافة طاقة الأشكال الهندسية، فلا شيء داخل الهرم أو في تصميمه الهندسي يمتلك أي طاقة مزعومة تمنع الكائنات الدقيقة من مهاجمة المادة العضوية وإفسادها

ولم يكن الدكتور عبد المحسن وحده من استنكر هذا العبث، بل إن الدوائر الأكاديمية الغربية قد شخصت هذه الحالة منذ زمن بعيد فقد أجرى عالم الصينيات الهولندي «جي جي إم دي جروت» دراسة موسعة بين عامي ألف وثمانمائة واثنين وتسعين وألف وتسعمائة وعشرة، أثمرت عن موسوعته الضخمة «النظام الديني للصين» وفي سياق بحثه، وصف الفينغ شوي بأنه جزء لا يتجزأ من الدين الصيني الوثني بمعناه الأوسع ورغم تخصصه، فقد أبدى انزعاجه الشديد من اضطراره لدراسة هذا العبث الذي رآه بالكاد يستحق عناء البحث

لقد لخص هذا العالم الغربي حقيقة الفينغ شوي بكلمات قاطعة، واصفاً إياه بأنه مجرد فوضى من السخافات الطفولية والتصوف المكرر، تم دمجها وترسيخها معاً من خلال منطق سفسطائي كاذب، لتخرج في نظام هو في واقعه صورة كاريكاتورية سخيفة للعلم وأكد أن أهمية دراسة هذا الهراء تكمن فقط في كونه يظهر بوضوح سحابة الجهل الكثيفة التي خيمت على عقول معتنقيه، ويكشف بكل عريٍ الحالة المتدنية لثقافتهم العقلية، ويثبت للعالم أن هذه الفلسفة الطبيعية المزعومة ليست سوى جبل ضخم من الادعاءات الفارغة، دون أن تحتوي على أي أثر للمعرفة الحقيقية أو العلم الصحيح[4]

إن الفينغ شوي، وكل ما تفرع عنه من طاقة المكان والأشكال، ليس سوى محاولة بائسة لإعادة إنتاج الوثنية الصينية وتلبيسها ثوب التصميم والديكور، لسرقة أموال وعقائد الناس باسم الطاقة والانسجام الكوني.

الماكروبيوتيك تجويع الجسد وتسميم العقيدة

ولا تتوقف آلة الباطنية الحديثة عن إنتاج مفاهيم تتدخل في أدق تفاصيل حياة الإنسان، لتطل علينا هذه المرة من نافذة الغذاء عبر نظام يُعرف بـ «الماكروبيوتيك» وهذا النظام ليس مجرد حمية غذائية لإنقاص الوزن كما يظن العوام، بل هو نظام شامل وفلسفة فكرية متكاملة للكون والحياة، تسعى لتفسير ماهية الوجود، وتطرح أسئلة كبرى حول الخالق والمخلوق، وتجيب عليها من منظور وثني بحت إنها تعيد إحياء فلسفة الديانة الطاوية والفلسفة الإغريقية القديمة وبوذية زن، والتي تعتقد جميعها بوجود "كلي واحد" فاضت عنه الموجودات بشكل ثنائي متناقض ولكنه متناغم، وهو ما يُعرف بقوى «الين واليانج».

وعلى أساس فهم هذه الفلسفة، يزعمون أن الكائنات تتكون وتتطور باطراد هذه القوى في سائر الموجودات، وأن الهدف الأسمى هو الوصول إلى هذا التناغم المزعوم ليعود "الكل" واحداً، ويتناغم الكون في وحدة واحدة تتلاشى فيها الفوارق الجوهرية؛ فلا فرق بين خالق ومخلوق، ولا بين إنسان وحيوان، أو نبات وجماد، ولا بين جنس وجنس، أو دين ودين إنهم يبشرون بعالم موهوم يحكمه فكر واحد يعتمد فلسفة التناغم من أجل الوصول إلى ما يسمونه بـ «الوحدة العالمية»، وهي في حقيقتها إعادة إنتاج لعقيدة وحدة الوجود الكفرية.

وتُمرر فلسفة الماكروبيوتيك في مجتمعاتنا عبر دورات خادعة تُعنى بـ «التوعية الغذائية»، تُمرر من خلالها قواعد نظام الكون وفلسفة النقيضين والمؤسف حقاً هو محاولة بعض المدربين المسلمين أسلمة هذا الفكر الفلسفي الملحد في بلاد التوحيد، عبر ليّ أعناق الأدلة الشرعية وتأويلها لتوافق أهواءهم فيزعمون تدليساً أن مفهوم النقيضين (الين واليانج) هو ذاته مبدأ الزوجية المطردة في مخلوقات الله، مستدلين بقوله تعالى: {وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}، قائلين إن كل الأشياء مكونة من موجب وسالب، وأبيض وأسود، وحار وبارد وهنا يكمن الفخ؛ فالكلام يبدو حقاً في ظاهره، لكنهم يبطنون به باطلاً محضاً إذ سرعان ما ينتقلون من هذا المعنى الظاهر للزوجية، إلى ادعاء أن هذه القوى تتغير بحسب تأثيرات خرافية تُعرف بـ «العناصر الخمسة» (الماء، المعدن، النار، الخشب، الأرض)، والتي تتأثر بدورها بـ «روحانيات الكواكب»، ليخرجوا بنتيجة عبثية مفادها أن الذكر قد يصبح أنثى والأنثى ذكراً طاقياً، ويتحول الموجب إلى سالب!

ووفق هذه الفلسفة الوثنية، يُفرض على الأتباع اعتماد حمية غذائية صارمة يغلب عليها تناول الحبوب كالشعير والحنطة، والخضروات الورقية، والطحالب البحرية، بحجة أنها أغذية جاذبة للطاقة الموجبة وفي المقابل، يحرمون عليهم تناول الأغذية الحيوانية ومنتجات الألبان، بل ويمنعونهم من العسل والفواكه الطازجة، بدعوى أنها أغذية تجذب الطاقة السالبة وتفسد التناغم! ويصل بهم الهذيان إلى تقديس مشروب يُسمى «الميزو» (وهو شعير يُخمر تحت الأرض لثلاث سنوات)، زاعمين أن له خصائص سحرية تتعدى صحة الجسد لترتقي بالروحانية، بل وتحمي المنزل من الإشعاعات النووية!

لقد طور هذا النظام الفيلسوف الياباني «جورج أوشاوا»، جامعاً فيه بين بوذية زن وتعاليم النصرانية وبعض سمات الطب الغربي ولا ننكر أن هذا النظام يتضمن بعض العادات الصحية كتقليل الشره ومضغ الطعام جيداً، لكن هذه المنافع القليلة هي مجرد «لباس الحق» الذي أُلبس لجسد الباطل ليمرره على الناس وقد انخدع بهذا اللباس بعض المسلمين، فحاولوا تفسير الهدي النبوي في الغذاء على ضوء هذه الفلسفة، متغافلين عن المصادمة العنيفة بين أسس الماكروبيوتيك (الين واليانج، الأجسام السبعة، الشاكرات) وبين معتقد المسلمين السوي إن وصاياهم بتجنب اللحوم والألبان والعسل تتعارض جذرياً مع منهج الإسلام القائم على إحلال الطيبات، فاللحوم طيبة، والألبان مباركة، والعسل فيه شفاء للناس بنص القرآن والمنهج النبوي السمح يكتفي بقاعدة: «ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»، منكراً هذا التحريم الكهنوتي لما أحل الله: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف: 32] .

الماكروبيوتيك وقصة ستيف جوبز صدمة الحقيقة

ولكي ندرك حجم الكارثة الطبية التي يسببها هذا النظام، يكفي أن نستدعي قصة شهيرة هزت العالم، وهي قصة «ستيف جوبز»، المدير التنفيذي السابق لشركة أبل العملاقة كان جوبز معتنقاً للديانة البوذية، وعندما صُدم بخبر إصابته بسرطان البنكرياس، اتخذ قراراً كارثياً؛ إذ رفض الخضوع للعملية الجراحية الطبية المقررة لحالته، وقرر بدلاً من ذلك اللجوء إلى ممارسات دينه البوذي كالتأمل، والعلاج بالطاقة، والالتزام الصارم بحمية الماكروبيوتيك الغذائية لضبط طاقات الين واليانج في جسده!

وكانت النتيجة الطبية مفزعة؛ فقد انتشر المرض في جسده بصورة وحشية أدهشت الأطباء أنفسهم فسرطان جوبز كان مصنفاً طبياً ضمن أنواع السرطانات بطيئة الانتشار وقابلة للعلاج الجراحي، لكن مع تطبيق حمية الماكروبيوتيك القاسية التي حرمت جسده من البروتينات الأساسية، وحاصرت مناعته بخرافات التناغم، بدأ جسده بالذبول السريع، وتوحش السرطان لينتشر بسرعة جنونية، ليفارق الحياة خلال أشهر قليلة لقد أدت هذه النتيجة الصادمة إلى اعتبار بعض الأطباء أن نظام الماكروبيوتيك هو الذي تسبب بشكل مباشر في تسريع انتشار السرطان وموته، مما دفع دعاة هذا النظام إلى شن حملات يائسة للدفاع عن فلسفتهم المتهاوية أمام حالة ستيف جوبز[1]

لقد كان جوبز ضحية ومثالاً ناطقاً على الفشل الذريع والقاتل لهذه الممارسات [2] وتتويجاً لهذا السقوط العلمي والطبي، أصدرت الجمعية الطبية الأمريكية بياناً صارماً يصف نظام الماكروبيوتيك بأنه واحد من أخطر الأنظمة الغذائية على الإطلاق [3]، نظراً لما يسببه من سوء تغذية حاد، ونقص قاتل في الفيتامينات والبروتينات التي يرفض هذا النظام الوثني إمداد الجسد بها.

الماكروبيوتيك ليس مجرد حمية، بل هو فلسفة شاملة يدخل تحت عباءتها أنواع الشرك والوثنية والسحر والدجل ورغم ذلك، نرى من يروج لها في بلادنا ممن ظاهرهم الصلاح، مفتونين بنفع وهمي، متناسين أن الشفاء والصحة بيد الخالق وحده، وأن الشريعة المطهرة قد أغنتنا عن كل فلسفة تستبدل توحيد الله بتناغم وثني كاذب.

خرافة التخاطر عن بُعد بين وهم العقول ووحي الشياطين

يبرز في العقود الأخيرة ترويج مكثف وممنهج لما يُعرف بـ «التخاطر عن بُعد» أو «مخاطبة العقل بالعقل»، والتي تُعرّف بأنها القدرة المزعومة على تبادل الأفكار، أو المشاعر، أو حتى الصور الذهنية بين شخصين، دون الحاجة لأي وسيلة مادية أو تواصل حسي مباشر وقد أصبح هذا المفهوم السحري محور اهتمام واسع في أسواق التنمية الذاتية والروحانيات الحديثة، حتى غدا عند بعض المفتونين حقيقة مطلقة لا تقبل النقاش غير أنّ إخضاع هذه الممارسات لمشرط النقد العلمي الدقيق والتأصيل الفلسفي والشرعي، يكشف بوضوح أنّها لا تعدو كونها ممارسات تقوم على أسس نفسية هشة ووهمٍ معرفي، أكثر مما تقوم على أي دليل تجريبي أو برهان منطقي.

تعود بدايات صياغة هذا المصطلح في العصر الحديث إلى أواخر القرن التاسع عشر، متزامنة مع بدايات تجارب علم النفس التجريبي ومحاولات بعض الباحثين اقتحام عالم الظواهر الخارقة للطبيعة، حيث تبناه باحثو ما يُعرف بـ «ما وراء علم النفس» لوصف هذا التواصل الذهني المفترض عبر المسافات لكن عند الفحص التاريخي والمنهجي، نجد أن جذور الفكرة أقدم من ذلك بكثير؛ فهي مجرد امتداد حرفي لمعتقداتٍ روحية وثنية قديمة في الثقافات الشرقية، والتي تفترض أن الإنسان يمتلك طاقةً أو هالة أثيرية يمكنها الانفصال، والانتقال، والتأثير في الآخرين عن بعد ومع ذلك، طوال آلاف السنين، لم تقدّم تلك المعتقدات الآسيوية أية آلية تفسيرية عقلانية أو أدلة قابلة للقياس على وجود مثل هذا التواصل المزعوم.

ومن منظور العلم التجريبي الصارم، يُعدّ التخاطر ادعاءً باطلاً وغير مثبت البتة؛ إذ لم تُثبت أي تجربة علمية محكمة، خضعت لمعايير البحث الرصين، وجود ظاهرة يمكن وصفها بأنها انتقال لـ «حزم الأفكار» من عقلٍ إلى آخر دون وسيلة حسّية أو مادية وتؤكد المنهجية العلمية أنه في جميع الدراسات التي أُجريت لاختبار هذه القدرات، بمجرد أن يُزال أي احتمال للتواصل غير المقصود (كقراءة لغة الجسد، أو التلميحات اللفظية الدقيقة، أو توافق التوقعات)، تختفي نتائج التخاطر المزعومة تمامًا، لتثبت أنها مجرد صدف أو خداع بصري ونفسي ولهذا يُصنف التخاطر ومخاطبة العقل في الأوساط الأكاديمية باعتبارهما نوعاً من العلوم الزائفة؛ فبعد تجارب ودراسات عديدة تبين بشكل قاطع أن هذه الظواهر ليست أكثر من وهم أو خداع مبيت [1]

بل إنّ المفهوم ذاته يصطدم بقوة مع القواعد العصبية والفسيولوجية للوعي البشري فالعقل الإنساني والدماغ البشري، من الناحية التشريحية والبيولوجية، لا يملك أية «مستقبلات» أو أجهزة بث لـ «موجات» قادرة على نقل المعلومات المعقدة كالأفكار لاستقبالها من عقول أخرى ويكفي لإسقاط هذا العبث أن ندرك أن ادعاء التخاطر عن بعد يتعارض كلياً مع الإجماع العلمي الفيزيائي الخاص بحدود وسرعات وطبيعة نقل المعلومة، فكل هذه القوانين والحدود الفيزيائية الصارمة ليس لها أي مكان أو اعتبار في ادعاءات ظاهرة التخاطر [2]

أما على الصعيد الفلسفي، ففكرة مخاطبة العقل بالعقل تفترض وجود جوهرٍ أثيري مستقل تماماً عن الجسد يمكنه السفر والتواصل بحرية تامة، وهي فرضية تنتمي إلى الفلسفة الثنائية القديمة (فصل العقل عن الجسد كلياً)، والتي تجاوزها الفكر العلمي الحديث لصالح رؤيةٍ تؤكد أن الوعي البشري والإدراك هو نتاج فسيولوجي معقد لنشاط الدماغ والشبكات العصبية، وليس كياناً شبحياً منفصلاً يسبح في الفضاء للبحث عن عقول أخرى.

وهنا لابد من تحرير مسألة منهجية دقيقة؛ لقد أشرنا سابقاً إلى أنه يحق للعلم المادي التجريبي أن يتدخل بقوة ليُبين خطأ التصورات الدينية لدى الهندوسية والبوذية، ويفضح خرافاتهم والسر في ذلك أن هذه الديانات الباطنية تؤمن بعقيدة «وحدة الوجود»، أي أنها تعتبر أن الإله والطاقة والكون والمادة هي شيء واحد متصل وبما أن العلم التجريبي هو الأداة البشرية الأقوى لرصد العالم المادي من حولنا، فإنه يمتلك الصلاحية الكاملة للتدخل وإثبات خرافة هذه الظواهر الباراسيكولوجية ونسفها من داخل أروقتها لكن في المقابل، وبميزان العدل، فإن العلم المادي لا علاقة له بالقضايا الغيبية المحضة التي أخبر بها الوحي كمعجزات الأنبياء أو كرامات الأولياء؛ لأن هذه الغيبيات لا تدعي أنها قوانين مادية قابلة للقياس، بل هي خوارق للعادات تصدر عن إله مباين للكون، ولا تخضع لنواميسه المادية.

وتأكيداً لهذا الحق العلمي في فضح الدجل، وبتكليف رسمي ومباشر من المجلس القومي للبحوث بالولايات المتحدة الأمريكية، عكفت لجنة علمية متخصصة على بحث حقيقة التخاطر عن بعد ومخاطبة العقل وقد خلصت هذه اللجنة إلى تقرير حاسم يقرر أنه: «بعد دراسة شاملة استوعبت مائة وثلاثين عاماً من الأبحاث العلمية والتجارب، تبين أنه لا يوجد أي مبرر علمي أو دليل مادي يدعم ظاهرتي التخاطر عن بعد ومخاطبة العقل» (3) وبناءً على هذه التوصيات الحاسمة، فقد تم تصنيف ظاهرتي التخاطر عن بعد بشكل رسمي وقاطع باعتبارهما من العلوم الزائفة (4)

وإذا كان العلم قد نفى قدرة الدماغ البشري على البث والاستقبال الفكري المباشر، فما هو التفسير الحقيقي لتلك الحالات النادرة التي يشعر فيها الممارسون المنغمسون في هذه الطقوس بتوارد الأفكار أو معرفة الغيبيات؟

تستغل بعض مدارس الطاقة والتنمية البشرية مفهوم التخاطر لترويج أفكار باطنية تدعي أن الإنسان قادر على برمجة الكون أو إرسال ذبذبات للآخرين، مستندين إلى مصطلحات علمية محرفة لفتح باب الاستغلال التجاري والنفسي لكن الحقيقة الشرعية المرعبة هي أن الممارسات الخاصة بعلوم الطاقة والتأمل التجاوزي، ما هي إلا بوابات لتسليم النفس والبدن طواعية للشيطان وما تنجذب إليه نفوس هؤلاء من خوارق مزعومة، ما هي في حقيقتها إلا إيحاءات شيطانية محضة فالشيطان وحزبه من الجن يمتلكون قدرات خفية لنقل المعلومات واستراق السمع، وحين يُخمد الإنسان عقله بالتأمل المفرط، يتمكن الشيطان من جسده ووعيه، ويبدأ في إلقاء الخواطر والرسائل في روعه ليوهمه أنه يمتلك قدرة التخاطر وقد فضح القرآن الكريم هذه الآلية الشيطانية في التواصل السري، قال تعالى: {يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام: 112] .

ولعلنا نستذكر هنا ما ذكرناه سلفاً في مبحث «الأكسس بارز»، وكيف اعترف مؤسسها بوضوح أنه أصبح يتحدث مع كائنات وكيانات من أبعاد أخرى بعد خوضه العميق في ممارسات الطاقة وتفريغ العقل إن هذه الإيحاءات، وما يُسمى بفتح البصيرة، وتفعيل العين الثالثة، وفتح الشاكرات، والتخاطر عن بعد، ليست سوى مسميات حداثية وبدعية لظاهرة واحدة قديمة قدم البشرية: «المس الشيطاني» إنها عقود شراكة تُبرم في غرف الاسترخاء المظلمة، يدفع فيها الإنسان إيمانه وعقله، ليحصل على وهم التخاطر والاتصال الكوني.

البرمجة اللغوية العصبية اختراق اللاوعي وتمرير الوثنية باسم التدريب

تحت ستار التنمية الذاتية وتطوير القدرات، اجتاحت العالم الإسلامي موجة عاتية تُعرف بـ «البرمجة اللغوية العصبية» تُقدم هذه الممارسة، ببساطة خادعة، على أنها مجموعة من الأفكار والتقنيات التي تساعد الإنسان على تغيير طريقة تفكيره وسلوكه ليصبح أكثر نجاحاً في حياته تأسس هذا المنهج في سبعينيات القرن العشرين على يد رجلين أمريكيين، زعما أن هدفهما هو دراسة الأشخاص الناجحين وتقليد أسلوب تفكيرهم وسلوكهم لمعرفة سر نجاحهم ويعتمد هذا المفهوم على تفكيك مصطلحه إلى ثلاثة أبعاد؛ البعد الأول يتمثل في «البرمجة»، وهو ادعاء أن العقل البشري يشبه جهاز الحاسوب الذي يمكن برمجته على عادات أو أفكار معينة والبعد الثاني «اللغوية»، ويفترض أن الكلمات التي ينطق بها الإنسان داخلياً أو خارجياً لها تأثير مباشر وكبير على مشاعره وتصرفاته أما البعد الثالث فهو «العصبية»، لربط هذه المنظومة بالمخ والجهاز العصبي، للإيحاء بأن كل فكرة تنعكس فسيولوجياً على الجسد وبناءً على هذه الفكرة، يرون أنه إذا غير الإنسان حديثه مع نفسه، كأن يستبدل عبارة الفشل بعبارات التعلم، فإنه يغير واقعه ولتحقيق ذلك، يعتمدون على وسائل خطيرة كالتنويم الإيحائي لتغييب الوعي ومخاطبة مكنونات النفس بكلمات إيجابية، وتقنيات تغيير الحالة الذهنية بالتخيل، ونقل المهارات.

لكن المفتش في العمق الأيديولوجي لهذه الممارسة، يكتشف أنها ليست مجرد حقيبة تدريبية بريئة، بل هي جزء لا يتجزأ من منظومة كبرى تضم عشرات التقنيات لنشر فكر حركة «العصر الجديد» الباطنية إنها طريقة عملية مبطنة صُممت بعناية لتمرير الفلسفة الإلحادية لهذه الحركة في قالب جذاب وبطابع التدريب الإداري والممارسة الحياتية، هرباً من الطابع الفلسفي أو الديني فالخطر هنا لا يكمن فقط في كونها وافدة من بيئة مشبوهة، بل لأن فرضياتها التي تُلقن كمسلمات، ما هي إلا مجرد ظنيات وتخرصات مزجها المدربون بقصص تاريخية إن الفلسفة الأصيلة التي تبطنها البرمجة هي عقيدة «وحدة الوجود»؛ فالمتتبع لتوجهات مؤسسيها والمؤثرين فيها، يجدهم جميعاً من أقطاب حركة العصر الجديد قبل أن يكونوا مطوري برمجة وما إسهامهم في إخراجها إلا لتكون قالبًا لفلسفتهم في ساحة العوام، بطريق المزاحمة المتدرجة لا المواجهة الصريحة ويتجلى هذا الاختراق في ترويجهم لما يُسمى بـ «فلسفة الوعي الجمعي»؛ وهي صورة حداثية مطورة لفلسفة العقل الكلي القديمة يزعمون أن النجاح يتم عبر الدخول في حالات الوعي المغيب بالتنويم أو التنفس العميق للاتصال باللاواعي، الذي يدعون أنه يمثل ثلاثة وتسعين بالمائة من العقل، ومن ثم الاتصال بالوعي الجمعي للكون لتغيير الواقع.

وهنا نقع في مغالطة علمية وشرعية فجة؛ فما يُسمى بـ «العقل الباطن» أو «اللاواعي» لا يعدو كونه فرضية، وجمع الظواهر التي لم يفسرها العلم وإطلاق هذا اللفظ عليها هو تبسيط مخل وعند المسلمين، هذا التجميع مرفوض بشدة؛ فالقاموس الشرعي يزخر بمصطلحات دقيقة ومفصلة كالعقل، والقلب، والفؤاد، والنفس، وقرين الجن، وقرين الملائكة فعزو كل الخفايا إلى صندوق أسود يُسمى «اللاواعي» هو جهل وتجهيل ولعل التساؤل الذكي الذي طرحته الأستاذة غادة الفارسي، المدربة التائبة من الكويت، يلخص المأساة، حين تساءلت في كتابها: "هل العقل الباطن هو خنزب؟" فقد حكت أن مدرباً مسلماً ادعى أن الصلاة هي مرحلة استرخاء يعمل فيها العقل الباطن بقوة ليتذكر الإنسان أموره المنسية، بينما نبينا ﷺ يُفسر هذه الظاهرة بأنها من فعل شيطان يُدعى «خنزب» يشغل المصلي ولذلك، يؤكد الدكتور عبد العزيز النغيمشي، أستاذ علم النفس، أن نقد محتوى البرمجة التفصيلي ليس مقصوداً بذاته، فلو كان كذلك لأمكن تصفيتها، وإنما الخطورة تكمن في كونها «برنامجاً متكاملاً» وراءه مقاصد بعيدة لضرب جميع الأديان السماوية.

وإذا تركنا الجانب العقدي ونظرنا للمسألة من زاوية المخرجات الواقعية، سنجد أنفسنا أمام عملية لبيع الوهم فالواقع المشاهد يؤكد أن البرمجة لم تحول الجموع إلى مميزين، ولم ترفع مستوى كفاءة المؤسسات، ولم تخفض نسب الطلاق المخرج الحقيقي الوحيد هو ازدياد أعداد المدربين، واشتعال التنافس بينهم، وانتشار أدعياء العلاج بخط الزمن والطاقة مما سبب فوضى عارمة تضرر منها الكثيرون ولقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قديماً هذا الخداع النفسي حين قال: "إن الشيطان زين لهم نسبة الأثر إلى ما لا يؤثر نوعاً ولا وصفاً" ولتقييم هذه الادعاءات، تصدت المؤسسات العلمية في الغرب لهذا العبث فقد قام الدكتور مايكل هيب، عالم النفس السريري بجامعة شيفيلد، بتقييم سبعة وستين بحثاً، ليختم جهده بتقرير قاطع يؤكد أن البرمجة تفتقد للأدلة الموضوعية، وأن البحث التجريبي فشل في دعم فرضياتها وشاركه الرأي الدكتور رشلي كرابو، أستاذ علم النفس بجامعة يوتا، الذي كان من أوائل المتحمسين لها، ثم تركها تماماً عام ستة وثمانين وتسعمائة وألف، معلناً محاربتها بعد أن حُوكم مؤسسها في قضايا قتل وترويج مخدرات وقوادة.

ومع انتشار هذه الدورات، أثبتت الدراسات العلمية الرصينة أن البرمجة اللغوية العصبية لا تعتمد على أي أساس علمي (1)، وتم تصنيفها أكاديمياً كواحدة من العلوم الزائفة (2) إنها تقوم على تصورات معينة عن طريقة عمل الدماغ عفا عليها الزمن وأصبحت من الخرافات العلمية؛ كادعاء وجود علاقة حتمية بين العمليات العصبية واللغة وأنماط السلوك، وهي تصورات بدائية أعادها دعاة البرمجة من المتاحف ليبنوا عليها تطبيقاتهم (3) وبعد خمس وثلاثين سنة من الدراسات المتخصصة، خرج الباحث توماز فيتكوفسكي بورقة بحثية مطولة أثبت فيها أن البرمجة ليست أكثر من علم زائف ملفق ينبغي أن يُنسى للأبد (4) والمشكلة الأعظم أن أغلب مرتادي هذه الدورات هم من أصحاب الشخصية المشوشة والأفكار الانعزالية والمكتئبة، الذين ينخدعون بالإطلاقات الدعائية، لتكون النتيجة دائماً هي بيع الوهم لهم (5)

وتكتمل فصول هذه الخديعة حين يخلص كثير من علماء الاجتماع والعلوم الإنسانية إلى اعتبار البرمجة اللغوية العصبية نوعاً من السحر البدائي الفلكلوري؛ حيث يستخدم دعاتها رموزاً ومجازات ورياضات روحية بنفس مقدمات الإرث الوثني القديم [6] وقد ثبت مؤخراً صحة هذا التطابق، حين تبين أن مؤسسَي هذا المنهج قد تأثرا بقوة بـ «الشامانية» وهم ممارسو السحر في آسيا، وقاما بتطبيق بعض أنماط طقوسهم الوثنية ودمجها في ممارسات البرمجة اللغوية العصبية [7] ولهذا السبب، لم تتردد المجلات العلمية المتخصصة في وصف البرمجة بأنها فلسفة شامانية خالصة [8]، تحاول بيأس الربط بين سحر الممارسات الشامانية وبين بعض الفرضيات العلمية البالية عن الدماغ وطريقة تحفيز السلوك [9] ورغم هذا الانكشاف العلمي المريع، لا زالت هذه الممارسات تنتشر، ويطلق دعاتها على أنفسهم ألقاباً غريبة كـ «ماستر» أو «مدرب دولي»، مع أنه لا توجد أي هيئة رسمية لإصدار هذه الألقاب، وليس للبرمجة ملكية فكرية مسجلة أو سلطة مركزية لإصدار الشهادات [10]، فمدربوها ليسوا سوى مجموعات متفرقة من الهواة لا تربطهم ولا تشرف عليهم أية هيئة علمية [11]

ومن المنظور الشرعي الخالص، فإن خطورة هذه البرامج تتجلى في قاعدة عظيمة سطرها ابن تيمية رحمه الله، حين ضرب مثلاً بالجسد الجائع؛ فإذا أخذ من طعام آخر استغنى عن طعام حاجته الذي يقيم بدنه وكذلك العبد، إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته، قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به وإن لم يكن في البرمجة من شر سوى الاستعاضة بغير المشروع عن أدوية الكتاب والسنة لكفاها شراً فالبرمجة اللغوية هي الخطوة الأولى في طريق دورات الطاقة وما يتبعها من استشفائيات شركية وأهرامات ورياضات لاستمداد طاقة الآلهة المزعومة ومن سلم من أثرها العقدي المباشر، فقد فتح الباب لغيره إلى طريق لا يعلم منتهاه إلا الله، مصداقاً لقول ابن عباس رضي الله عنهما: "من أخذ رأياً ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة رسول الله، لم يدر على ما هو منه إذا لقي الله" وحيثما تغيب المنهجية، يكثر الدجل؛ فنرى من يخلل دورته بمهارة "الاستفادة من أشعة لا إله إلا الله"، وآخر يزعم تخريج متدربين يحفظون القرآن في ثلاثة أيام عبر القراءة الضوئية.

إن هذه العواقب الوخيمة تنتظر السائرين في هذا الطريق، الذي رواده في الغرب سحرة ومشعوذون اقتحموا عالم الغيب بشياطينهم، ليظنوا أن ما حصلوه هو باكتشاف قدراتهم الكامنة، شأنهم شأن باطنية الفلاسفة الذين قال عنهم شيخ الإسلام: "باطنية الفلاسفة يفسرون الملائكة والشياطين بقوى النفس وانتهى قولهم إلى وحدة الوجود، فإنهم دخلوا من هذا الباب حتى خرجوا من كل عقل ودين" وفي هذا الزمن المليء بالفتن، لا يعصم العبد إلا تحرٍ دقيق بعيد عن تدليس المفتونين ولو كانوا أهل دعوة فالطريق يبدأ بمستويات بسيطة للبرمجة قد لا يظهر فيها الخطر، ولكن بعد أن تألفها النفوس تكون النهاية مروعة بالخروج من الدين عبر دورات الهونا والشامانية ومصداق ذلك ما قاله أحد السلف قديماً: "لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه يحدثك ببدعته حذرته وفررت منه، ولكن يحدثك بأحاديث السنة في بدو مجلسه، ثم يدخل عليك ببدعته فلعلها تلزم قلبك" فهؤلاء يثقون أن منهجهم التدريجي والزمن كفيلان بترسيخ المفاهيم الوثنية الجديدة وتلاشي عقائد الأديان السماوية في قلوب أتباعهم.

برمجة العقل الباطن خرافة الـ 10% وجناية تغييب الوعي

ولم تتوقف عجلة التدليس عند استغلال الجسد والمكان، بل امتدت لتقتحم أقدس حصون الإنسان عقله ووعيه، ليخرجوا علينا ببدعة حديثة تُسمى «برمجة العقل الباطن» يبدأ مدربو علوم الطاقة والتنمية الوهمية بنسج شباكهم عبر ترويج كذبة كبرى يتناقلونها كالمسلمات، مدعين أن الإنسان لا يستعمل من قدرات عقله سوى عشرة بالمائة فقط! وبناءً على هذه المقدمة الفاسدة، يوهمون الضحية بأنها بحاجة ماسة لتحرير تلك الطاقة الكامنة الجبارة عبر مخاطبة اللاوعي حتى يتم استغلال العقل استغلالاً جيداً لكن الحقيقة العلمية الصارمة تصفع هذه المقدمة من جذورها؛ فقد أثبت علم النفس الحديث والمسح الدماغي المتقدم أن فرضية العشرة بالمائة هي مجرد خرافة ساذجة تقبع في زوايا الفلكلور الشعبي وثقافة العوام، ولا رصيد لها في أروقة العلم فنحن نستخدم تقريباً كل طاقة عقولنا بنسبة مائة بالمائة، فكل مراكز ومناطق المخ تعمل[1]

وإذا تجاوزنا هذه الكذبة المبدئية، نصطدم بالخرافة الأكبر التي تقوم عليها كل هذه الممارسات؛ ألا وهي حتمية مخاطبة وبرمجة ما يُسمى باللاوعي أو العقل الباطن تقرر فلسفات العلاج بالطاقة أنه يمكنك التحدث مع هذا الكيان الخفي وتغيير برمجته، لكن الواقع العلمي وعلم الأعصاب يقرر بوضوح وحسم أنه لا يوجد في الإنسان ماديًا شيء يُسمى باللاوعي أو العقل الباطن، وليس في التشريح الدماغي الدقيق ولا حتى في فسيولوجيا علم وظائف الدماغ ما يسمى باللاوعي أو العقل الباطن [2] وما حدث تاريخياً هو أن بعض أطباء النفس الأوائل استخدموا هذا اللفظ المجازي من باب التوصيف الفرضي البحت لأرشيف الذكريات القديمة في الدماغ، وليس من باب أنه عضو أو كينونة يمكن مخاطبتها أو برمجتها [3] فالعقل الباطن بالصورة التي يتحدث عنها دعاة التنمية اليوم، هو خرافة مطلقة لا تختلف قيد أنملة عن خرافة الطاقة الكونية.

وأمام هذا الانتشار الوبائي لادعاءات برمجة العقل، قررت المؤسسات العلمية والسيادية الكبرى وضع هذه الممارسات تحت مجهر الاختبار الصارم فقد قام معهد بحوث الجيش الأمريكي بتمويل سلسلة من الأبحاث العلمية المكثفة عام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين لدراسة وتقييم حقيقة قدرات برامج برمجة العقل الباطن واللاوعي وانتهت هذه الدراسات الطويلة بتقديم الفريق العلمي لثلاثة تقارير ضخمة ومتتالية في الأعوام: ثمانية وثمانين، وواحد وتسعين، وأربعة وتسعين وجاءت النتيجة في التقرير الأول صادمة للمروجين؛ حيث أعلنت اللجنة العلمية بشكل قاطع أنه ليست هناك أية شواهد علمية أو تجريبية لدعم الادعاء بأنه يمكن برمجة العقل الباطن أو برمجة اللاوعي، وأنه ليس لهذا الهراء أي سند علمي في تصحيح الأفكار السلبية ومنها برمجة اللاوعي، حيث أوصى بإيقاف هذه البرامج [4] وبعد ثلاثة أعوام، صدر التقرير الثاني ليُشيد بالقرارات الحازمة التي اتخذها الجيش الأمريكي بخصوص إيقاف عدد من هذه التقنيات الزائفة، ثم صدر التقرير الثالث والأخير ليكتفي بتأكيد نفس النتائج[5]

ولعل الكارثة الحقيقية لا تكمن فقط في بطلان هذه الممارسات علمياً، بل في المنهجية الخبيثة التي تُمرر بها فمروجو هذه البرمجة يقنعون ضحاياهم بأن العقل الباطن يعمل بكفاءة أكبر في حال غياب الحواس الخمس وتعطل التفكير المنطقي، ولذلك يعتمدون بشكل رئيسي على تقنيات الإيحاء والتنويم والاسترخاء العميق وهذا أمر في غاية الخطورة؛ فليس هناك ما هو أشد فتكاً بالإنسان من السعي الإرادي لتغييب وعيه ودعونا نتنزل جدلاً ونفترض صحة تخاريفهم بوجود كيان يُسمى العقل الباطن، وبأننا لا نستخدم سوى عُشر عقولنا، وبأنه يمكن مخاطبة هذا اللاوعي رغم أن كل التقارير العلمية تكذب ذلك؛ هل تسمح لنا هذه الفروض المحالة أن نتلاعب بوعينا ونعطل حواسنا ونغيب عقلنا الواعي من أجل مخاطبة هذا المجهول؟ إن العقل في شريعة الإسلام الغراء ليس مجرد أداة للتفكير، بل هو مَناط التكليف، وهو أحد «الضروريات الخمس» الكبرى التي جاء الشرع الحنيف بحفظها، وحرّم كل ما يؤدي إلى التلاعب بها أو إفسادها، وأعطى منهجاً ربانياً صارماً للمحافظة عليه وإعماله فيما خُلق من أجله، بينما هؤلاء الدجاجلة يدعون صراحة لتغييره أو تغييبه، ليُسلموا الضحية بلا دفاعات لوساوس الشياطين وكيانات الوهم.

الرسائل المبطنة (السبليمنال) كبسولات السحر السمعي واستدعاء الشياطين

في تطور خبيث لأدوات اختراق الوعي البشري، برز في الآونة الأخيرة مصطلح حداثي يُعرف بـ «السبليمنال» أو الرسائل المبطنة يُشتق هذا المصطلح لغوياً من دمج كلمتين تعنيان «تحت العتبة»، ويُقصد به تقديم أي محفز حسي، سواء كان تسجيلاً صوتياً أو ومضة بصرية، بمستوى شدة خافت جداً أو بمدة زمنية متناهية القِصر، بحيث يعجز العقل الواعي عن التقاطه أو إدراكه بشكل مباشر ويزعم مروجو هذه التقنية أن هذه الرسائل الخفية تتجاوز حواجز التفكير المنطقي والتحليل النقدي، لتُغرس مباشرة في منطقة «اللاوعي»، الذي يعتبرونه المستودع السري للمعتقدات والعادات.

وبناءً على هذا الزعم، بدأ الكثير من الناس، بتوجيه من مدربي العلاج بالطاقة، يتهافتون على الاستماع لهذه التسجيلات الصوتية المبطنة لساعات طويلة، أملاً في تغيير أقدارهم وتحقيق معجزات حياتية بلا جهد فيستخدمونها لحل مشكلاتهم الزوجية المعقدة، أو لإنقاص الوزن، أو لجلب الثراء المادي، بل ويصل بهم السفه العقلي إلى الاستماع لتسجيلات يظنون أنها ستغير لون عيونهم أو تعدل شكل أنوفهم!

ولكي نفهم حقيقة هذا العبث، يجب أن نعقد مقارنة بين مشعوذ الأمس ودجال اليوم في الماضي، كان الساحر البدائي منبوذاً يختبئ في الأزقة المظلمة، يطلب من الضحية أثراً من ثياب المُراد سحره، ثم يكتب له حجاباً أو طلسماً، وربما طلب منه ذبح طائر وتقديم دمه كقربان للشياطين أما اليوم، فقد تبدل المشهد تماماً؛ أصبح الساحر والدجال يرتدي أبهى الحلل، ويحمل ألقاباً أكاديمية مزيفة، ويطل عبر الشاشات ومواقع التواصل بكل ثقة واعتزاز وعوضاً عن الحجاب الجلدي والتعويذة الورقية، سيُعطيك هذا المشعوذ العصري مقطعاً صوتياً «سبليمنال» أو مقطع فيديو يحتوي على ترددات غامضة ورسائل خفية سيطلب منك أن تجلس في مكان هادئ، وأن تسترخي كلياً وتغيب وعيك، وأن تُلغي أي قناعات عقدية سابقة، موهماً إياك بأن عقلك الباطن هو من سيصنع المعجزة وبطريقة غير مباشرة، يهمس هذا الدجال في أذنك بأنه طالما بقيت معتقداً بأن الله وحده هو مقدر الأقدار ومغير الأحوال، فلن تستفيد من هذه التسجيلات إنهم يطلبون منك، بكل صراحة، أن تفرغ قلبك من التوكل على الله ليملؤوه بوهم ألوهية الذات.

ولعل من المضحك المبكي أن الكهنة الجدد يعتمدون في فلسفتهم على خرافة «العقل الباطن»، وهي ذات الفرضية التي أطلقها المحلل النفسي الملحد سيغموند فرويد، والتي أثبت العلم الحديث، كما فصلنا سابقاً، أنه لا وجود لها في علم التشريح أو الفسيولوجيا العصبية لقد تلقف دعاة الطاقة هذه الفرضية الباطلة وجعلوها صنماً يُعبد من دون الله يقولون للمغفلين: هل تريد أن تصبح رباً صغيراً متحكماً في أقدارك؟ عليك بعقلك الباطن! هل تريد الشفاء من الأمراض المستعصية؟ عليك بعقلك الباطن! يخبرونك بأن الكون كله مسخر لتنفيذ رغباتك بمجرد تخيلها، وأنك لست بحاجة حتى لرفع يديك بالدعاء لخالق الكون؛ فقط استمع للتسجيلات وتخيل!

لكن الوجه الأشد رعباً وكفراً لهذه التسجيلات لا يقتصر على مجرد التوهم النفسي، بل يمتد ليكون سحراً أسود صريحاً ولإثبات ذلك من أفواههم، خرجت إحدى أشهر مروجات وصانعات هذه التسجيلات المبطنة عبر قناتها، لتعترف بكل وقاحة أنها تستعين بأرواح مصاحبة لها (شياطين)، ولا تنكر استخدامها لطقوس السحر في صناعة هذه المقاطع وتشرح لجمهورها طقوسها الوثنية قائلة: إذا أردت تسجيلاً لتنشيط الذكاء فستصنعه لك بـ «طاقة الهواء»، وإذا أردته لجلب الحبيب فستستخدم «طاقة الماء»، وإذا أردت الشجاعة فستلجأ لـ «طاقة النار» وتؤكد أنه لكي تعمل هذه التعويذة الصوتية، يجب على المستمع أن يُنظف هالاته وشاكراته ليكون جسده مستعداً لتلقي تعليمات الكيانات الخفية.

ويبلغ السقوط العقدي منتهاه حين تطلب هذه الساحرة المعاصرة من زبائنها تقديم بياناتهم الخاصة، كتاريخ الميلاد أو لون مفضل أو صورة شخصية، وهي ذات المتطلبات التي يطلبها سحرة العصور الوسطى (أثر المسحور) وتتبجح بأنها تتعاون مع من تسميه «رئيس الملائكة» في صناعة المقاطع، وهي تقصد قطعاً كبير مردة الشياطين بل وتقدم وصفة سحرية صريحة مرافقة لأحد تسجيلات الحب؛ حيث تطلب من الضحية اختيار يوم الجمعة (يوم كوكب الزهرة في التنجيم)، وإشعال بخور الورد مع تقديم قربان، واستحضار روح الآلهة الإغريقية الوثنية «أفروديت» ثم تأمره برسم «السجل»، وهو رمز هندسي طلسمي، وكتابة اسمه تحته بألوان محددة، وإشعال شمعة في وسطه، والتحدث المباشر مع هذه الروح الشيطانية! وبعد انتهاء الطقس، تطلب منه إخفاء هذا الطلسم تحت سريره أو مرآته أليس هذا هو السحر بعينه؟ أليس هذا هو الاستمتاع المحرم بالجن الذي حذر منه القرآن؟ لقد صدق الله العظيم حين وصف هذا الانحدار البشري بقوله: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: 6] .

إن الدين الإسلامي الحنيف أمرنا بإعمال العقل الواعي، والأخذ بالأسباب المادية المشروعة، والاجتهاد والعمل والتوكل الصادق على الخالق لكن أتباع الطاقة والعقل الباطن الموهوم يريدون انتكاس الفطرة والعودة بالبشرية إلى عصور الجاهلية والوثنية العمياء إنهم يدعون صراحة للتواكل الكسول والشرك البواح، محاولين إقناع الناس بإلغاء العمل وحتى التوقف عن الدعاء، واستبدال ذلك كله بترديد تمتمات غير مفهومة والاستماع لترددات شيطانية، زاعمين أن الإنسان هو إله نفسه وهو المتحكم الأوحد في جسده وقدره إن «السبليمنال» باختصار شديد، ليس سوى تطبيق سمعي خبيث لخرافة قانون الجذب، ومحاولة يائسة لسرقة الربوبية من خالق السماوات والأرض ولن نجد رداً ألجم وأعظم من قوله سبحانه وتعالى في فضح عجز هؤلاء وكياناتهم المزعومة: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: 56] .

خرافة توأم الشعلة تقديس الرذيلة وبوابة التناسخ الكفرية

وفي سياق تبرير الأهواء وإضفاء هالة من القداسة المزيفة على الانحرافات الأخلاقية، يبرز في أوساط الروحانيات الحديثة مفهوم بالغ الخطورة يُعرف بـ «توأم الشعلة» يقوم هذا المفهوم على اعتقاد باطني يفترض أن لكل إنسان نصفاً روحياً آخر خُلق معه منذ بداية الأزل، وأن هذا النصف هو الروح التوأم أو الشعلة المقابلة التي تمثل الجزء المكمل لجوهره وكيانه وتزعم هذه الخرافة أن هاتين الروحين قد انفصلتا في بداية الخلق، وأخذتا تتجولان عبر حيوات وأجساد متعددة في إقرار صريح بعقيدة التناسخ، حتى تتحدان من جديد في رحلة روحية مقدسة مليئة بالألم والنمو ويروج دجاجلة هذا الفكر إلى أن لقاء توأم الشعلة ليس مجرد لقاء عاطفي عابر، بل هو حدث كوني مقدر يوقظ الوعي ويُحدث ما يسمونه بالصحوة الروحية، مدعين أن الروحين عندما تتحدان تعيدان التوازن المفقود إلى الكون بأسره.

ولم تنبت هذه الخرافة من فراغ، بل هي اجترار لأسطورة يونانية قديمة سطرها الفيلسوف أفلاطون في محاورته الشهيرة المعروفة بـ «المأدبة» فقد تحدث فيها عن أسطورة تفترض أن الإنسان في أصله الأول كان مخلوقاً كاملاً ومزدوجاً، فغضبت عليه الآلهة الوثنية وعاقبته بشطره إلى نصفين، ومنذ ذلك الحين البائس يسعى كل نصف هائماً في الأرض ليبحث عن نصفه الآخر ليكتمل به وقد كانت هذه الفكرة الفلسفية في مهدها رمزاً لوحدة الجسد والروح، لكنها تطورت في الفلسفات اللاحقة وتلوثت لتصبح صورة باطنية عن الاتحاد الإلهي المزعوم.

وتتقاطع هذه الأسطورة اليونانية وتتطابق مع الموروثات الشرقية الوثنية، وتحديداً في ديانات الهندوسية والبوذية ومسارات اليوجا الطاوية فهناك نجد فكرة مشابهة تتمحور حول اتحاد «الطاقة الذكورية والطاقة الأنثوية»، حيث يُعتقد أن الإنسان يحمل في داخله قطبين متضادين، وأن الاتحاد التام بينهما هو السبيل الوحيد للوصول إلى الاستنارة الروحية وقد انتقل هذا المفهوم المشوه إلى الفكر الغربي المعاصر ضمن ما يُعرف بالطاقة المقدسة أو طاقة الكونداليني، والتي تمثل في جوهرها اتحاد الأضداد؛ كتوحيد الأنوثة والذكورة، والمادة والروح، وصولاً إلى الكفر الأكبر بتوحيد الإنسان والإله.

وتتجلى الكارثة الحقيقية لهذا الفكر الباطني حين نرى تطبيقاته العملية المدمرة في واقعنا المعاصر؛ إذ أصبح ذريعة شيطانية لتبرير أبشع العلاقات المحرمة فبناءً على هذا الفكر المنحرف، يمكن أن يكون نصفك الآخر وتوأم شعلتك المزعوم من نفس جنسك؛ ذكر مع ذكر أو أنثى مع أنثى وبهذا يتم تحفيز المخدوعين بهذه الخرافة، ظناً منهم أنهم وجدوا توأم شعلتهم الكوني، على تبرير الشذوذ والانحراف الأخلاقي! ولا يتوقف العبث هنا، بل يمتد لتدمير البيوت والأسر؛ فتجد المرأة المتزوجة تتعلق برجل غريب وتبرر خيانتها العاطفية أو الجسدية بأن هذا الرجل الغريب هو توأم شعلتها المقدر لها كونياً! إنها خرافة وثنية وأساطير قديمة تُستدعى اليوم لتكون الغطاء الروحاني الأنيق لتبرير الخيانة الزوجية والعلاقات الشاذة.

وبهذا الكلام المعسول عن توأم الشعلة، يتم تبرير التعلق المرضي السريع، وادعاءات التخاطر الذهني، وتطوير العلاقات غير المشروعة المحرمة فكل هذه العلاقات الفاسدة تتشابه في أسبابها وتبريراتها، وكلها خطوات من تزيين الشيطان الذي يغلف الحرام بغلاف الحب الكوني إن من ينشر خرافة توأم الشعلة لا ينشر فقط انحرافاً أخلاقياً يدمر العفة والمجتمعات، بل ينشر ما هو أدهى وأمر؛ إنه يروج لكفر أكبر مخرج من الملة وهو «اعتقاد تناسخ الأرواح»، وهو الاعتقاد الفاسد الذي يهدم أركان الإيمان باليوم الآخر والبعث والحساب، ولا ينفع معه إسلام ولا إيمان.

خرافة الأرقام الكونية من طلاسم بابل إلى أكواد الوهم المعاصرة

في زاوية مظلمة أخرى من زوايا الفكر الباطني الحديث، يبرز ما يُعرف بـ «علم الأعداد الروحي» أو الأرقام الكونية يقوم هذا الوهم على اعتقاد فاسد بأن للأرقام طاقة خفية وكياناً مستقلاً يؤثر حتمياً في الكون والإنسان والمصير، وأن كل رقم يحمل في طياته ذبذبة روحية خاصة يمكنها الكشف عن أسرار الغيب وتحديد أحداث المستقبل وفي الحقيقة، إن ما يتداوله الناس اليوم بشغف حول طاقة الأرقام المتكررة أو الأرقام الملائكية، ليس كشفاً علمياً حديثاً، بل هو خليط مشوه من ثلاثة مصادر تاريخية غارقة في الوثنية يبدأ الجذر الأول والأقدم من «السحر البابلي والكلداني»، حيث لم يكن الرقم عندهم مجرد كمية حسابية، بل رمزاً لقوى خفية؛ فربطوا بين الكواكب السبعة المعروفة آنذاك وبين أيام الأسبوع والأرقام، معتقدين أن لكل رقم إلهاً وقوة تؤثر في المصير، واستخدموها بكثافة في الطلاسم والتعاويذ والمربعات السحرية لفتح بوابات الطاقة لاستدعاء الآلهة ثم انتقلت هذه اللوثة إلى الجذر الثاني وهو «الفلسفة الفيثاغورية» في اليونان، حيث ألبس فيثاغورس هذا السحر البابلي ثوباً فلسفياً عقلانياً بزعمه أن العدد هو جوهر الأشياء لتستقر هذه الأفكار أخيراً في الجذر الثالث وهو «القبّالة اليهودية»، وهي مذهب باطني يعتمد على تفكيك النصوص المقدسة وأسماء الملائكة والشياطين إلى أرقام ومركبات رياضية لفك الأسرار الإلهية ومن هذه التوليفة الثلاثية، ولدت النسخة الحديثة التي تروج لها حركة العصر الجديد تحت مسميات براقة كالطاقة والذبذبات الكونية.

ولعل من أشد فضائح هذه الحركة إحراجاً، قصة ظهور ما يُسمى بـ «أرقام الملائكة» فالشخصية التي يُنسب إليها تأليف أول كتاب في هذا الباب، وهي الأمريكية دورين فيرتشو ، تدعي بكل جرأة أنها تلقت هذه الأسرار الكونية أثناء قيامها بجلسة تأمل داخل «دورة المياه»! حيث زعمت أنها بدأت ترى أرقاماً متكررة وتسمع أصواتاً تخبرها بأن هذه رسائل من الملائكة وهكذا خرج للناس كتاب يُقدس الأرقام، مصدره هلوسة في مكان لا يليق بذكر الله فضلاً عن تلقي وحي سماوي! والقرآن الكريم يحسم هذا العبث بوضوح في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ} [الشورى: 51] فما حدث مع هذه المرأة ليس إلهاماً ملائكياً، بل هو استدراج شيطاني ناتج عن إفراغ العقل بالتأمل الباطني، مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ} [الأنعام: 121] والمثير للتأمل أن هذه المرأة نفسها، وبعد سنوات من جني الأرباح من هذه الخرافة، أعلنت توبتها وتراجعها العلني عن كل ما يتعلق بأرقام الملائكة والعلاج بالطاقة، معترفة بأنها كانت على باطل وأن ما ظنته رسائل من السماء لم يكن سوى تضليل شيطاني، ومع ذلك لا يزال المفتونون في بلادنا يقدسون خرافاتها المتروكة!

ومن أبرز تجليات هذا الهوس الرقمي، تقديس الرقم (11:11)؛ حيث يروجون أنه بمجرد رؤيتك لهذا الرقم المتطابق، فإن «بوابة طاقية» قد انفتحت لك من الكون، وأنك إنسان منفتح روحياً تسير في الطريق الصحيح لتلقي النعيم ولا يقفون عند هذا الحد، بل يطورون الخديعة لما يسمونه «أكواد الطاقة»، فيروجون لأرقام محددة كأكواد لجلب المال (مثل 5207418)، وأكواد لرجوع الحبيب، وأكواد لفك السحر ويُطلب من الضحية كتابة هذه الأرقام على يده اليسرى أو بطنه، وترديدها في جلسات تأمل، زاعمين أن الكون سيفهم الرسالة وينفذها وترافق هذه الطقوس عبارات توكيدية تُختتم بخبث بكلمة «بفضل الله» لأسلمة الخرافة، وتُتبع بجلسات تأمل قصيرة وتخيلات، وربما حرق الورقة التي كُتبت عليها الأرقام لـ «تفعيل النية»! إن هذه الممارسات هي عين السحر والشرك الصريح؛ فهي

استعانة بغير الله، وتعليق للقلب بالأرقام بدل التوكل على الرزاق، وكتابة للطلاسم على الجسد وحين يحذرونك من استخدام هذه الأكواد للانتقام خوفاً من قانون «الكارما»، فهم بذلك يلغون عقيدة الحساب الإلهي والعدل الرباني، ويستبدلونها بقانون وثني أعمى للمكافأة والعقاب.

وتمتد هذه الأساطير لتشمل خرافة الرقم (369)، الذي ينسبونه زوراً للعالم نيكولا تيسلا، مدعين أنها «أرقام الخلق» والترددات الصوتية التي بني عليها الكون والحقيقة أن جذور تقديس هذه الأرقام تعود مباشرة إلى مذهب «التنترا» الهندوسي ، الذي يهدف إلى الكمال الروحي والاتحاد بالإله عبر التأمل والرموز الطاقية ففي هذه الفلسفة الباطنية، يرمز الرقم ثلاثة إلى حالات الوعي المختلفة، ويرمز الرقم ستة إلى عدد مراكز الطاقة (الشاكرات) في الجسد، بينما يُفتح بالرقم تسعة ما يُسمى بالبوابة العاشرة المؤدية إلى الوعي الإلهي، وهي فكرة مسروقة من فلسفة الكابالا اليهودية التي تدعي إمكانية صعود الإنسان ليصبح هو الإله! هذا الفكر الإلحادي يهدم أصل العبودية لله، ويدعي أن الإنسان إله في جسد مادي متصل بما يسمونه «المصدر»، وهو مصطلح يطلقونه تهرباً من التصريح بعقيدة وحدة الوجود، حيث يعتبرون أن الله – تعالى عن ذلك – هو النبات والحجر والكون نفسه المتسرب في كل شيء.

ولإضفاء طابع علمي مزيف على هذا الدجل، يربطون بين هذه الترددات الرقمية وبين تفعيل «الغدة الصنوبرية» في الدماغ، زاعمين أنها مقر «العين الثالثة» وبوابة الاتصال بالأبعاد الأخرى والعوالم العليا والحقيقة الطبية التي يجهلها أو يتجاهلها هؤلاء، أن الغدة الصنوبرية هي مجرد عضو صغير جداً في الدماغ تقتصر وظيفته على إفراز هرمون «الميلاتونين» الذي ينظم دورة النوم والاستيقاظ، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بالرؤى أو البصيرة أو العوالم الخفية إن ما يصفونه بانفتاح البصيرة ورؤية كائنات ذات وعي متطور بعد التأمل أو الاستماع لهذه الترددات، ليس سوى استدعاء مباشر لوساوس الشياطين وتلاعب كيميائي بالدماغ يؤدي إلى هلاوس عصبية مشابهة لتعاطي المخدرات إن ادعاء معرفة الغيب أو الاتصال بالكون عبر الأرقام هو تكذيب صريح لقوله تعالى: {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل: 65] .

وفي ختام هذه الضلالات، يخرجون علينا بأرقام مثل (4444)، مدعين أنها تشير إلى أنك من الأولياء أو ما يسمونه «ملاكاً أرضياً» قادر على تحقيق المعجزات وكل هذا يصب في مصب واحد: تأليه الأسباب، ونسبة القدرة للكون والأرقام بدلاً من مشيئة الله وهذا هو ذات المنزلق الذي حذر منه القرآن الكريم حين كشف فتنة السحر البابلي القديم في قوله: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [البقرة: 102] فالأرقام الكونية اليوم ليست فيزياء روحية كما يزعمون، بل هي امتداد حرفي لفكر السحر البابلي، أُعيد تغليفه بعناوين حداثية كقانون الجذب وطاقة الأرقام، لسرقة عقيدة المسلم تحت غطاء التنمية والوعي الزائف، مصداقاً لقوله تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54] .

قوة الآن تجميد العقل وفخ الاستنارة الوثنية

من بين أخطر الإصدارات التي أسهمت في ترويج الفكر الباطني المعاصر، يبرز كتاب واسع الانتشار يُعرف بـ «قوة الآن» لأحد أشهر المعلمين الروحانيين في الغرب يُعد هذا الكتاب اليوم مرجعاً أساسياً في أسواق التنمية الذاتية، ويطرح فكرة محورية تزعم أن الزمن ليس سوى وهم ذهني تراكمي ناتج عن ذكريات الماضي وتوقعات المستقبل، وأن الوجود الحقيقي الوحيد ينحصر في اللحظة الحاضرة فقط ويزعم المؤلف أنه بتركيز الوعي بشكل كامل على هذه اللحظة، يتجاوز الإنسان هذا الوهم ويتصل بحالة من السلام الأصيل ولتفكيك هذه الأطروحة، لابد من التمييز بين فهمين؛ الأول هو الفهم البسيط السطحي الذي يظن أصحابه أن المقصود هو مجرد الانشغال بالحاضر وترك التحسر على الماضي أو القلق من المستقبل وهذا المعنى في ظاهره عادي ومقبول، ولو كان هذا هو مراد الكاتب لاكتفى بتوجيه نفسي عابر، لكنه أراد ما هو أبعد وأخطر من ذلك بكثير.

إن النظرة الفاحصة لأبعاد هذا المصطلح وجذوره تكشف عن بعد عقدي بالغ الخطورة؛ حيث يُعبر المؤلف بوضوح عن تصوراته الفلسفية حول حقيقة الحياة والإله فبعد مقدمات تمهيدية، يصل بالقارئ إلى أن الغاية الحقيقية من البقاء في حالة الحاضر المطلق هي الاتصال بما يسميه «الحقيقة الإلهية» وبلوغ حالة الاستنارة ولا يتوانى الكاتب عن التصريح بعقيدة وحدة الوجود الفاسدة كنتيجة حتمية لتطبيق هذا المفهوم والشعور بالاتصال ولا يخفى على الباحث المدقق حجم الارتباط الوثيق بين هذا الطرح وبين المعتقدات الباطنية المتجذرة في الفلسفات الشرقية القديمة، ومفاهيم الشرارة الإلهية والتصوف الغربي بل إن المؤلف نفسه لا يُخفي تأثره العميق بمن يطلق عليهم لقب المستنيرين، وعلى رأسهم بوذا، مما يؤكد أن أفكاره ليست سوى إعادة تدوير لمفاهيم اليقظة والوعي البوذي.

وفي سياق هذا التنظير، يدعو الكاتب بصرامة إلى ما يسميه «وقف تدفق التفكير القهري» وهنا نعود لندق ناقوس الخطر الذي حذرنا منه مراراً في المباحث السابقة؛ فمحاولة إيقاف العقل وتجميد التفكير هي الآلية الباطنية المفضلة لفتح الثغرات أمام الشياطين للتلاعب بوعي الإنسان وقد تصدى فلاسفة العقل لهذه الدعوة، مؤكدين أن الوظيفة الأساسية للدماغ البشري هي التنبؤ والتخطيط، وأن محاولة إيقاف التفكير بشكل كامل هي محاولة شاذة ومستحيلة، لأن اللحظة الحاضرة بحد ذاتها هي بناء مستمر التغير ولم يقف النقد عند الفلاسفة، بل امتد لعلماء النفس والمعالجين المتخصصين الذين أبدوا مخاوف حقيقية من هذه الممارسات؛ ففكرة الاكتفاء بملاحظة الألم العاطفي وتركه يمر بصمت، تُعد تجنباً مَرَضياً غير صحي للتعامل مع المشاعر، خاصة في حالات الصدمات النفسية أو الاكتئاب، حيث يكون التدخل العلاجي لتفكيك أسباب الألم وفهمها أمراً حتمياً لا مفر منه.

ومن أشد المزالق التي يقع فيها بعض المسلمين، محاولة إحداث تداخل زائف بين هذا المصطلح الفلسفي وبين بعض التوجيهات الشرعية والمسلمات العقلية؛ كأن يربطوا بينه وبين التوجيه النبوي بترك التحسر على ما فات وتجنب كلمة «لو»، أو عدم الاسترسال في هموم المستقبل وهي توجيهات عظيمة أجمع عليها العقلاء، وأفرد لها علماء الإسلام مصنفات قيمة ككتاب الإمام السعدي رحمه الله في الوسائل المفيدة للحياة السعيدة لكن هذا التوجيه الشرعي يختلف جذرياً عن المعنى الباطني لـ «قوة الآن» وأقبح من ذلك، أن يعمد البعض إلى الاستشهاد بهذا المصطلح لتفسير حالة الطمأنينة والخشوع في الصلاة! وهذا ناتج عن جهل مطبق بأصول هذا المصطلح ومآلاته الكفرية فهذا الصنيع يمثل تحريفاً للعبادة وصرفاً لها عن غايتها في التذلل لله، ويُسهم في نشر هذا الفساد العقدي بين العوام بحجة تبسيط العبادة أو اللحاق بركب الجديد.

وحتى حين يُطرح المصطلح في سياقات إدارية للتحفيز على التركيز أثناء العمل لزيادة الإنتاج، فرغم أن الانقطاع عن المشتتات هو من أسباب الجودة، إلا أن استخدام هذا اللفظ المحمل بالإرث الفلسفي يظل غير دقيق ومحفوفاً بالمخاطر وعليه، فإن كل ما يرتبط بهذه الأساليب تشوبه مخالفات صريحة لأصول الاعتقاد والبديل الآمن يكمن في اتباع الهدي النبوي؛ كالاستعاذة بالله من الشيطان عند ورود الأفكار السيئة، والانشغال النافع بتلاوة القرآن، وتعليق القلب المطلق بالخالق المدبر، مستحضرين دائماً الوصية النبوية الخالدة لابن عباس رضي الله عنهما: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

الماندالا دوائر السحر وطلاسم الوثنية تحت غطاء الفن والعلاج

في ظاهرة متسارعة الانتشار بين مختلف الفئات العمرية، برزت ممارسة تعتمد على الرسم والتلوين الدقيق لأشكال هندسية معقدة تُعرف بـ «الماندالا» وقد صاحب هذا الانتشار حملة ترويجية مكثفة عبر دورات تدريبية، ومواقع إلكترونية، وتطبيقات للأجهزة الذكية، فضلاً عن غزو الأسواق بكتب وكراريس مخصصة لتعليم رسم وتلوين هذه الأشكال، مصحوبة بشعارات خادعة تَعِد الممارس بـ «تلوين طريقه نحو الهدوء والسلام الداخلي» فما هي حقيقة هذه الدوائر؟ وما السر الكامن وراء ترويجها؟ وما هو منشؤها الحقيقي وموقف العقيدة الصارمة منها؟.

يعتبر المروجون لهذه الممارسة، وخاصة من مدربي علوم الطاقة والتنمية البشرية، أن رسم وتلوين الماندالا ليس مجرد هواية فنية، بل هو وسيلة من وسائل «الطب البديل» المعتمدة على الشفاء الذاتي وتفريغ الطاقة السلبية ويُسوقون لها على أنها فن لرفع «الوعي التام»، وباعث على السعادة، ووسيلة سحرية للتخلص من التوتر العصبي وضغوطات الحياة، معتبرين إياها نوعاً من الرياضات الذهنية التي تستدعي الاستغراق الفكري والدخول في حالة من التأمل العميق المؤدي للسلام ويتجاوز البعض هذا الحد ليزعم أن الماندالا هي أداة للعلاج التحليلي؛ فبناءً على اختيار الشخص لرسومات وألوان معينة، يدعي المختصون قدرتهم على تحليل شخصيته واستخراج مكبوتاته النفسية ولإضفاء طابع علمي على هذه الخرافة، يرجعون اكتشاف أثرها العلاجي إلى طبيب النفس السويسري «كارل يونج»، متناسين أو مخفين شغفه المعروف بالفلسفة الشرقية والعلوم الغنوصية والمعارف الميتافيزيقية والتنجيم.

وللوقوف على المنشأ الحقيقي للماندالا، يكفي أن نراجع ما كتبه «يونج» نفسه مقرراً أصولها فالماندالا كلمة سنسكريتية قديمة تعني حرفياً: الحلقة أو الدائرة السحرية ويتخذ تصميمها الأساسي شكل دائرة أو مربع يحوي في داخله أشكالاً متداخلة كزهرة اللوتس وتُعد هذه الدوائر من أقدم الرموز الدينية الوثنية، إلا أن ماندالا الشرق، وبخاصة ماندالا طائفة «التبت» البوذية، تعتبر الأهم والأكثر تأثيراً وفي الفلسفات الشرقية، لا تُستعمل الماندالا كلوحة فنية، بل كأداة رئيسية من أدوات طقوس التأمل الروحي، والذي يهدف صراحة إلى تحويل وعي الإنسان ليذوب في الوعي الإلهي المزعوم، فهي تمثل عندهم الألوهية المتجسدة في الإنسان ويؤكد «يونج» هذا المعنى قائلاً إن الماندالا المستعملة في الاحتفالات الطقوسية ذات أهمية بالغة لأن مراكزها تتضمن في العادة أحد أسمى الرموز الدينية كبوذا أو الإله الهندوسي شيفا[1]

ولم يكتف «يونج» بالدراسة، بل اعتمد رسم الماندالا كمنهج علاجي في عيادته، موجهاً مرضاه لرسمها، بل وممارسة طقس حركي يُسمى «ما ندالا الرقص»، وهي رقصة هندوسية تعبر حركياً عن نفس المعاني الباطنية التي يعبر عنها الرسم [2] لقد ربط يونج بين هذه الرمزية الوثنية وبين مفاهيم مدرسته التحليلية، مصرحاً بأن للماندالا أثراً «سحرياً» في العلاج، لأنها من وجهة نظره تمثل الذات الكلية للفرد، وأن رسمها يحرر رغبات «اللاوعي الجمعي» ويحدث شفاءً ذاتياً والمفارقة أن المروجين المعاصرين لا يخفون هذه الأصول الفلسفية، بل يفاخرون بأنها فن بوذي يشير إلى مركز الكون الميتافيزيقي، ويمثل مراكز طاقية للتوازن توحد بين العالم الداخلي والحقيقة الخارجية المطلقة

وبعرض هذه الممارسة على ميزان الشريعة الإسلامية والعقيدة الصافية، تتكشف لنا ثلاث طوام كبرى تنسف مشروعيتها من الأساس الطامة الأولى تكمن في الارتباط الوثيق بـ «السحر والسيمياء»؛

فتسمية الماندالا بـ «الدوائر السحرية» ليست مجازاً فنياً، بل هي تسمية نابعة من ارتباطها المباشر بعلم السيمياء القديم (فرع شيطاني من الكيمياء القديمة)، والذي استُخدم في الشرق والغرب للبحث عن الخلود عبر دمج الطلاسم بالطقوس التأملية وهذا الارتباط لم يخف على «يونج» الذي اعترف صراحة بأن علم النفس التحليلي الخاص به يتوافق بطريقة غريبة مع السيمياء، معتبراً تجارب السحرة السيميائيين هي النظير التاريخي لعلم نفس اللاوعي [3] بل إنه يؤكد الأثر السحري للماندالا قائلاً إن هذا الرمز يمتلك آثاراً سحرية قديمة تقبع خبيئة فيه لأنه يستمد وجوده من الدائرة المسحورة، وأن الغرض من رسمه هو حفر ثلم سحري مقدّس حول مركز الشخصية وقد أجمع علماء الإسلام، كالإمام القرافي وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الذهبي، على أن «السيمياء» هي محض سحر وتخييل شيطاني، وأن حكمها هو حكم السحر المحرم الذي يُكفر فاعله وبما أن الماندالا وسيلة وعمل من أعمال السيمياء باعتراف مروجيها، فحكمها التحريم القاطع.

أما الطامة الثانية، فتتمثل في ارتباط الماندالا بعقيدة «وحدة الوجود» الكفرية فما يسميه يونج بـ «عملية التكامل والتوحد» عبر الماندالا، ليس سوى تعبير حداثي عن هذه العقيدة الإلحادية التي ترى أن الإله يحل في مخلوقاته ويمتزج بها ويذوب فيها تماماً إن منظومة يونج الفكرية تنطلق من أرضية غنوصية تهدف إلى التأليه البشري، وهذا كفر صريح يناقض توحيد الربوبية والألوهية، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن القائلين بوحدة الوجود: "إن تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده، ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر".

وتبرز الطامة الثالثة في الرد على من يجادل بسذاجة قائلًا: أليست الماندالا مجرد زخارف هندسية مجردة يمكن فصلها عن عقائد الشرق؟ والجواب الحاسم: إن الماندالا بهذا المسمى وهذه الكيفية والطقوس المرافقة لها (كالتأمل وتفريغ الطاقة) لا تنفك عن أصلها الوثني بحال من الأحوال فهي ليست زخرفة إسلامية أو فناً محايداً، بل هي طقس تعبدي وهيكل طاقي يستعين به الوثنيون للاتحاد بآلهتهم وممارستها بهذا الشكل هي مشابهة صريحة للكفار في أخص خصائص دينهم ووسائلهم التأملية، وهو ما يوجب التحريم.

وفي الختام، يجب التنبيه على خطورة الانخداع بالمصطلحات الطبية الزائفة فما يروجون له من ثبوت علمي وعلاجي للماندالا في علم النفس، هو تدليس مفضوح؛ إذ من المتعارف عليه في الأوساط الطبية الرصينة أن منهجية «كارل يونج» مبنية كلياً على تجاربه الشخصية وهجره المتعمد للمناهج التجريبية والإحصائية الصارمة في الطب النفسي لقد غرق يونج في دراسة السيمياء والتنجيم والأساطير، وتركزت كتاباته حول الغيبيات الهندية والبوذية، مدعياً أن الصحة النفسية تستمد من هذه الطقوس الوثنية فكيف يقبل المسلم العاقل أن يسلم عقله وروحه لدوائر سحرية خطها رجل مهووس بالتنجيم، ليُفسد بها عقيدته الصافية تحت غطاء التلوين والاسترخاء؟.

الفصل الثالث

اختطاف الوحي أبرز تطبيقات العلاج بالطاقة المتعلقة بالقرآن والسنة

من المعلوم يقينًا في عقيدة كل مسلم أن الله عز وجل قد اصطفى نبيه محمداً ﷺ واجتباه، وختم به الرسالات، وأكمل به الدين، ورضيه للبشرية منهجاً لا يقبل غيره إلى يوم الدين، مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ومن منطلق هذه العقيدة الراسخة، نقف في آخر مباحث هذا الكتاب وقفة حازمة مع ظاهرة بالغة الخطورة؛ ألا وهي محاولات اختراق الثقافة الإسلامية والمجتمع المسلم عبر تطبيقات استشفائية تتبنى فلسفة الطاقة الوثنية، وتُغلفها بغلاف إسلامي خادع لقد بلغ هذا التسرب حداً جعل كثيراً من العوام يظنون أن فلسفة الطاقة وتطبيقاتها تتوافق تماماً مع عقيدة التوحيد، بل ووصل الجهل ببعضهم إلى اعتبارها من دلالات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة! وفي أحسن الأحوال، يظن البعض الآخر أنها لا تعدو كونها ممارسات رياضية وتقنيات حيوية لا تتعارض مع ثوابت الدين وقد ساهم في ترسيخ هذا الوهم ما بذله ممارسو هذه الطقوس ومدربوها من المسلمين من جهود مستميتة لـ «أسلمة» هذه الفلسفات، مستشهدين تارة بنصوص شرعية ليّت أعناقها، ومبتكرين تارة أخرى مصطلحات توفيقية؛ والهدف من كل ذلك هو تخدير وعي المتدربين لئلا يشعروا بوحشة أو نفور مما يصادفهم من مخالفات شركية وعقائدية صارخة.

وحقيقة الأمر أن التأصيل الإسلامي للعلوم، وبيان وجوه الإعجاز الحقيقي في الكتاب والسنة، هو مطلب شرعي ومحمود في عصر الانفتاح المعلوماتي، حيث تتسابق الحضارات لتقديم تراثها لكن هذا السباق والتأصيل يجب أن يتولاه العلماء الراسخون الذين يعرفون حقيقة دينهم وحقيقة الفلسفات الوافدة إن القاعدة الذهبية لأسلمة العلوم تنص على تطويع العلم المادي النافع ليخدم الإسلام والمسلمين، ولا تنطلق أبداً من تطويع الإسلام وليّ أعناق نصوصه المقدسة لتبرير فلسفة وثنية أو طقس باطني ولما كانت هذه الوافدات الفكرية لا تأتينا على شكل كتب فلسفية صريحة ليفحصها المختصون ويدرك خطرها الدعاة، بل تتبلور في صورة تطبيقات وتدريبات وممارسات تتسلل للعامة عبر دورات التنمية البشرية وعيادات الطب البديل، كان لزاماً تفكيك هذه الخديعة فهؤلاء يركزون بذكاء على استغلال حاجة المرضى الذين يعانون من أمراض مستعصية كالسرطان، والربو، والروماتيزم، أو أمراض نفسية كالقلق والاكتئاب، ليبيعوهم وهم الشفاء السريع الخالي من الآثار الجانبية.

وقد تنوعت صور هذا الاختراق في مجتمعاتنا المسلمة بشكل مرعب ففي البداية، قُدمت علاجات الطاقة بأسمائها الأصلية المستمدة من الطب الصيني والهندي [1]، مع محاولات بائسة للتوفيق بينها وبين الإسلام فصار العلاج بالريكي (اللمسة العلاجية) يُقدم للناس على أنه التفسير العلمي لـ «الرقية الشرعية»، ويبذل المدلسون جهدهم لإبراز وجوه الشبه الشكلي للتعمية على الفارق الجوهري بين الإلحاد الجلي والاستعانة بالشياطين في الريكي، وبين إخلاص الدعاء والتوكل على الله في الرقية وانسحب هذا العبث التوفيقي على ممارسات أخرى كاليوجا، والماكروبيوتيك، والتاي شي[2]

ولما ضاقت بهم الحيل، انتقلوا لمرحلة أشد خبثاً، وهي ابتكار تطبيقات طاقية جديدة تستخدم المقدسات الإسلامية كتعاويذ سحرية فظهر ما سُمي بـ «العلاج بطاقة الأسماء الحسنى»، وهو علاج وثني مبني على حساب الجُمّل القديم وقياس مستوى طاقة الاسم بالبندول، ليحددوا للمريض اسم الله المناسب لمرضه ولعضوه المصاب وكأنه يصف دواءً كيميائياً [3]! بل وظهر ما يُسمى بالعلاج بأشعة «لا إله إلا الله»، حيث يُطلب من المريض الدخول في حالة تغييب للوعي، ليتخيل جملة التوحيد بلون ووميض أخضر ذي طاقة عالية، ثم يحاول استمداد هذا الوميض الخيالي لمعالجة موطن الألم، في تحويل مشين لأعظم كلمة في الوجود إلى مجرد قرص مسكن وطلسم طاقي.

ولم يقف التعدي عند هذا الحد، بل انبرى فريق آخر لإقحام فلسفة الطاقة في العبادات والشعائر الإسلامية ذاتها، متدثرين بثوب الإعجاز العلمي فزعموا أن حكمة «السجود» هي تفريغ الجسم من الطاقة السلبية المتراكمة من الشهوات وإشعاعات الأجهزة، مدعين أن هذه الطاقة الوهمية تتجمع في الجبين، وأن الأعضاء السبعة التي نُهينا عن رفعها في السجود هي مجرد «منافذ تفريغ» أرضية [4]! وفي ذات السياق، تم تشويه شعيرة «الحجامة» النبوية؛ فزعموا أن فاعليتها لا تتحقق إلا إذا روعي تنفيذها بحسب مكامن الطاقة الحيوية والشاكرات على الجسم الأثيري، وأن دورها هو تحرير الطاقة السلبية وجلب الإيجابية وهذا محض تدليس؛ فالحجامة النبوية هي عملية طبية مادية بحتة تهدف لاستخراج الدم الفاسد وتنشيط الدورة الدموية، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بفلسفة الطاقة الوثنية [5]

وامتد هذا العبث ليطال القرآن الكريم نفسه؛ فظهر ما يُسمى بـ «الاستشفاء بطاقة الشفاء في القرآن» [6] حيث يعلمون الناس الاستشفاء بصوت الحروف المجردة ومراعاة مد الصوت بها ورخامته لاستخراج الطاقة الكامنة، فيرددون حرفاً أو كلمة معينة مرات عديدة كبديل للتعاويذ، محولين كتاب الهداية إلى كتاب طلاسم ومانترا وتفرع عن ذلك بدعة أسموها «الاستشفاء بالوجبة القرآنية»، ومؤخراً أُعلن بجرأة عن براءة اختراع مزعومة لطاقة قرآنية تحت اسم «علم التنوير القرآني»، وكلها مسميات حداثية لا تخرج في منبعها وتفاصيلها عن ذات الضلالات الباطنية.

إنها حرب مصطلحات وشعارات تتغير من يوم ليوم، فلكل مدرب مدرسة، ولكل دورة مستويات، لكنها جميعاً تصب في مستنقع واحد: نشر فلسفات وتعاليم الديانات الشرقية التي تنادي بوحدة الوجود وتوازن ثنائيات الكفر (الين واليانج) إنهم يسعون لترسيخ الاعتقاد بأن للإنسان سبعة أجساد وجهاز طاقة يجب فتحه لاستمداد الطاقة الإلهية المزعومة وسواء تم تمرير هذا الكفر بما هو وافد من الشرق من ترانيم وأحجار كريمة وأهرامات، أو تم تغليفه بما يناسب ثقافتنا الإسلامية من تسبيحات وآيات للتدليس على العامة، فإن النتيجة واحدة: هدم عقيدة التوحيد، واستبدال اللجوء إلى الخالق بالانغماس في أوهام الطاقة ومكائد الشياطين.

الخاتمة

العودة إلى نبع التوحيد وحراسة حصون الفطرة

في ختام هذه الرحلة الاستقصائية العميقة بين أروقة الفكر الباطني الحديث، نصل إلى يقين قاطع بأننا لسنا أمام مجرد تقنيات استرخاء بريئة أو بدائل طبية حديثة، بل نحن في مواجهة شاملة مع أكبر عملية تزييف عقدي وعلمي يشهدها عصرنا لقد سقطت الأقنعة عن وجه هذه الفلسفات، وتكشفت حقيقتها كمنظومة وثنية قديمة، أُعيد تدوير نفاياتها وتغليفها بأسماء حداثية براقة لتخترق مجتمعاتنا المسلمة لقد طفنا معاً عبر فصول هذا الكتاب لنفكك خرافات الطاقة الكونية، وقانون الجذب، والبرمجة اللغوية، والإسقاط النجمي، وغيرها من المسميات التي تُمثل في جوهرها بوابات مشرعة نحو هدم العقيدة، ومسخ الفطرة، وتدمير العقل البشري الذي كرم الله به بني آدم.

إن القضية في أصلها وجذورها ليست خلافاً حول طرق استشفائية قابلة للتجربة، بل هي معركة فاصلة بين التوحيد الخالص وبين الشرك المقنع إن عقيدة الإسلام تقوم على إفراد الله جل جلاله بالخلق والتدبير والنفع والضر، بينما تقوم هذه الممارسات الوافدة على سلب هذه الخصائص الربانية ونسبتها إلى «الكون» والذبذبات والطاقات المزعومة، وصولاً إلى الكارثة الكبرى بتأليه الإنسان لنفسه واعتقاده أنه الخالق لأقداره والمتحكم في مصيره وهذا هو الانزلاق الخطير نحو عقيدة «وحدة الوجود» التي تمحو الفوارق بين الخالق والمخلوق، وتفتح أبواب الكهانة والسحر المعاصر تحت مسمى الاستنارة ورفع الوعي، لتُسلم الإنسان في النهاية أسيراً لوساوس الشياطين وضلالات الأوهام.

ولم يقتصر دحضنا لهذه الممارسات على الجانب الشرعي فحسب، بل وضعناها على طاولة التشريح العلمي التجريبي، لتتهاوى كبيت العنكبوت لقد أثبتنا بالأدلة وتقارير المجامع الطبية والمؤسسات الأكاديمية الرصينة أن كل ما يُروج له في دورات الطاقة والبرمجة والجذب ليس سوى «علوم زائفة» وتجارة رخيصة بالوهم إن إغلاق العقل وتغييب الوعي الذي تشترطه هذه الممارسات، هو جناية في حق الإنسانية، وتمهيد لتدمير الصحة النفسية والعصبية لضحاياها.

ومن هنا، نرفع أشد درجات التحذير من تلك المحاولات الخبيثة أو الجاهلة لـ «أسلمة» هذا الباطل إن الترقيع بين نصوص الوحي المقدس وبين طلاسم الفلسفات الوثنية هو جناية كبرى على الدين، ومحاولة لتلبيس الحق بالباطل لتمريره على العوام فالقرآن الكريم لم يُنزل ليكون تعاويذ طاقية، ولا شعائر الإسلام شُرعت لتكون منافذ لتفريغ ذبذبات وهمية إن دين الله كامل لا يقبل الزيادة، وصافٍ لا يقبل الدخن، ومحاولة تبرير هذه الخرافات بليّ أعناق النصوص هي خيانة للأمانة العلمية والشرعية، وتعبيد للناس لغير رب العالمين.

ختاماً، إننا نطلق دعوة صادقة لكل عاقل، ولكل أب وأم، ولكل غيور على دينه وعقله: عودوا إلى النبع الصافي، وحصنوا بيوتكم وعقول أبنائكم من هذا الغزو الباطني إن الطمأنينة الحقيقية لا تُباع في قاعات التدريب الباهظة، والشفاء لا يُجلب بالترددات والتمائم المعاصرة، والنجاح لا يتحقق بالتخيلات وتغييب الوعي إنما الفلاح كله في يقين راسخ بأن النفع والضر بيد الله وحده، وفي سجدة خاشعة ومفتقرة لخالق السماوات والأرض، وفي الأخذ الجاد بالأسباب المشروعة، والتداوي بما أثبته الطب الحقيقي نسأل الله العظيم أن يحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن ينير بصائرنا لتمييز الحق من الباطل، وأن يجعل هذا الكتاب حصناً منيعاً وسبباً لرد الشبهات وإنقاذ المخدوعين.

قائمة المراجع والمصادر

مبحث : اليوجا والتأمل السكوني هندسة اختراق الوعي واستجلاب الشياطين

(1) https://wwwncbinlmnihgov/pubmed/8931651

(2) الريكي للمبتدئين، ديفيد إف فينلس، ص٣٠-٣٥، نقلا عن التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء

(3)An introduction to complementary medicine, Simon Borg Olivier, p290
نقلا عن حركة العصر الجديد د هيفاء بنت ناصر الرشيد

(4) /https://pubmedncbinlmnihgov/28542181

(6)An Interpretation of the Kesin Hymn, (RV 10: 136)

(7)Yoga in Indian traditions, however, is more than physical exercise; it

(8)https://wwwtheguardiancom/lifeandstyle/2016/dec/01/yoga-joins-unesco-intangible-world-heritage-list

(9)https://skepdiccom/energyhtml

(10) https://wwwcambridgeorg/core/journals/religious-studies/article/abs/yoga-and-the-rg-veda-an-interpretation-of-the-kesin-hymn-rv-10-136/5E6154596258BFE59E356A4D045E371F

(11) سير أعلام النبلاء، ترجمة أحمد ابن أبي ا

مبحث: خرافة الهالة المحيطة بالجسم والشاكرات تشريح الوهم الباطني

(1) التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية دهيفاء بنت ناصر الرشيد إصدار المركز الوطني للطب البديل والتكميلي، وزارة الصحة السعودية

(2)https://wwwresearchgatenet/publication/230683042_Perception_of_Conventional_Sensory_Cues_as_an_Alternative_to_the_Postulated'Human_Energy_Field'of_Therapeutic_Touch

(3) Hines, Terence (2002), *Pseudoscience and the Paranormal* (2nd Ed), Amherst, New York: Prometheus Books, p 362

مبحث: خرافة العلاج بالألوان ووهم التصوير الطاقي

(1) Williams, William F (2000), *Encyclopedia of Pseudoscience: From Alien Abductions to Zone Therapy*, Facts on File Inc, p 52

(2) Raso, Jack (1993), *Mystical Diets: Paranormal, Spiritual, and Occult Nutrition Practices*, Prometheus Books, pp 256-257

(3) Ades, Terri (2009), *Complete Guide to Complementary & Alternative Cancer Therapies*, American Cancer Society, p 210

(4) د فوز بنت عبد اللطيف كردي، سلسلة مقالات منشورة عبر الموقع الرسمي (موقع الفكر العقدي الوافد والمنهج الشرعي في نقده)

مبحث: الريكي خرافة الاستشفاء الكوني وبوابة الاستحواذ الشيطاني

---

(1) **Semple, D; Smyth, R (2013)**, *Oxford Handbook of Psychiatry* (3rd Ed), Oxford University Press, Ch 1: Psychomythology, p 20

(2) **Lee, MS; Pittler, MH; Ernst, E (2008)**, *"Effects of reiki in clinical practice: A systematic review of randomised clinical trials"*, International Journal of Clinical Practice, 62 (6): 947 - 54

(3) **Science-Based Medicine**, *"Reiki: Fraudulent and Misleading"* https://sciencebasedmedicineorg/reiki-fraudulent-and-misleading/

(4) **National Council Against Health Fraud (NCAHF)**, *"Reiki"* https://wwwncahforg/articles/o-r/reikihtml

(5) **Rosa, L, Rosa, E, Sarner, L, & Barrett, S (1998)**, *"A Close Look at Therapeutic Touch"*, PubMed (JAMA) https://pubmedncbinlmnihgov/9533499/

مبحث: عقيدة الشاكرات دوامات الوهم وتأليه الجسد

---

(1) **https://wwwbritannicacom/topic/chakra**

(2) Energy healing: a review of the theoretical framework and scientific evidence

مبحث: مسارات الوعي (الأكسس بارز) اختراق العقول واستنساخ السحر القديم

---

(1) Ter Riet, G, Kleijnen, J, & Knipschild, P, *"Acupuncture and Chronic Pain: A Systematic Review"*, National Library of Medicine (PMC) https://wwwncbinlmnihgov/pmc/articles/PMC1371348/

(2) Vickers, A J, *"Can Acupuncture Have Specific Effects on Health? A Systematic Review of Acupuncture Anti-emesis Trials"*, Journal of the Royal Society of Medicine (PubMed) https://pubmedncbinlmnihgov/9717924/

(3) Streitberger, K, et al (2004), *"Acupuncture compared to placebo-acupuncture for postoperative nausea and vomiting prophylaxis: A randomised placebo-controlled patient and observer blind trial"*, Anesthesia, 59: 142-149

(4) National Council Against Health Fraud (NCAHF), *"NCAHF Position Paper on Acupuncture"* https://wwwncahforg/pp/acuhtml

مبحث: مسارات الوعي (الأكسس بارز) اختراق العقول واستنساخ السحر القديم

---

(1) James R Lewis (2001), *Encyclopedia of Cults, Sects, and New Religions*, Prometheus Books (Access Consciousness Section)

(2) Wikipedia, *"Access Consciousness"* https://enwikipediaorg/wiki/Access_Consciousness

(3) Gary Douglas Official Website, *"Meet Gary Douglas"* https://wwwgarymdouglascom/about-gary-douglas/

(4) The Daily Beast, *"What's Behind Gary Douglas's Scientology Knockoff?"*
https://wwwthedailybeastcom/whats-behind-gary-douglass-scientology-knockoff

مبحث: قانون الجذب خديعة تأليه الذات والدجل الفيزيائي

---

(1) Scientific American, *"The Other Secret"* https://wwwscientificamericancom/article/the-other-secret/
(2) http://sciencesciencemagorg/content/189/4201/478
(3) Live Science, *"The Pseudoscience of 'The Secret'"* https://wwwlivesciencecom/5303-pseudoscience-secrethtml
(4) Ajahn Sucitto, *Turning the Wheel of Truth: Commentary on the Buddha's First Teaching*
(5) Rhonda Byrne (2006), *The Secret*, Atria Books, p 164

مبحث: الإسقاط النجمي وتجارب الاقتراب من الموت هلوسات العقل وتلبيس إبليس

---

(1) Robert L Park (2008), *Superstition: Belief in the Age of Science*, Princeton University Press, pp 90-91
(2) Donovan Rawcliffe (1988), *Occult and Supernatural Phenomena*, Dover Publications, p 123
(3) Charles M Wynn, Arthur W Wiggins, & Sidney Harris (2001), *Quantum Leaps in the Wrong Direction: Where Real Science Ends and Pseudoscience Begins*, Joseph Henry Press, p 95
(4) Brian Regal (2009), *Pseudoscience: A Critical Encyclopedia*, Greenwood, p 29
(5) د فوز بنت عبد اللطيف كردي، مقال من منشورات موقع "الفوز" (موقع الفكر العقدي الوافد والمنهج الشرعي في نقده)
http://wwwalfowzcom

مبحث: الترانيم الوثنية (مانترا أوم) هندسة الصوت لاستدعاء الشياطين

---

(1) James Lochtefeld (2002), *The Illustrated Encyclopedia of Hinduism*, Vol 2: N-Z, Rosen Publishing, p 482 (Entry: Om)
(2) Annette Wilke & Oliver Moebus (2011), *Sound and Communication: An Aesthetic Cultural History of Sanskrit Hinduism*, De Gruyter, pp 435 - 456
(3) Alexander Studholme (2012), *The Origins of Om Manipadme Hum: A Study of the Karandavyuha Sutra*, State University of New York Press

مبحث: (الفينغ شوي) هندسة الوثنية وخرافة الأشكال

---

(1) صحيح الجامع، ح:١٦٣٢
(2) مجموع الفتاوى، م٩ ص ٣٤
(3) الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، د عبد المحسن صالح، إصدارات عالم المعرفة، ص ٢٢٢-٢٢٩
(4) Dutch Sinologist JJM de Groot, who between 1892 and 1910 produced a mammoth six-volume work, The Religious System of China

مبحث: الماكروبيوتيك تجويع الجسد وتسميم العقيدة

---

(1) Forbes, *"Cancer: Think Different May Have Killed Steve Jobs"* https://wwwforbescom/sites/daviddisalvo/2011/10/21/cancer-think-different-may-have-killed-steve-jobs/

(2) Nutrition Reviews, *"Zen Macrobiotic Diets"* https://onlinelibrarywileycom/doi/abs/101111/j1753-48871974tb01007x

(3) EzineArticles, *"The Dangers of Macrobiotics"* https://ezinearticlescom/?The-Dangers-of-Macrobiotics&id=6642423

مبحث: البرمجة اللغوية العصبية اختراق اللاوعي وتمرير الوثنية باسم التدريب

---

(1) Thyer, Bruce A; Pignotti, Monica G (2015), *Science and Pseudoscience in Social Work Practice*, Springer Publishing Company, pp 56-57, 165-167

(2) Sharpley, Christopher F (1987), *"Research findings on neurolinguistic programming: Nonsupportive data or an untestable theory?"*, Journal of Counseling Psychology, 34 (1): 103 - 107

(3) Druckman, Daniel (2004), *"Be All That You Can Be: Enhancing Human Performance"*, Journal of Applied Social Psychology, 34 (11): 2234 - 2260

(4) Witkowski, Tomasz (2010), *"Thirty-Five Years of Research on Neuro-Linguistic Programming NLP Research Data Base: State of the Art or Pseudoscientific Decoration?"*, Polish Psychological Bulletin https://doiorg/102478/v10059-010-0008-0

(5) The Skeptic's Dictionary, *"Neuro-linguistic programming (NLP)"* http://skepdiccom/neurolinhtml

(6) Clarke, Peter B (2006), *Encyclopedia of New Religious Movements* (1st ed), Routledge, pp 440 - 441

(7) McClendon, Terrence L (1989), *The Wild Days: NLP 1972-1981* (1st ed)

(8) Tye, Marcus JC (1994), *"Neurolinguistic programming: Magic or myth?"*, Journal of Accelerative Learning & Teaching, 19 (3-4): 309 - 342

(9) Jean Langford (1999), *"Medical Mimesis: Healing Signs of a Cosmopolitan Quack"*, American Ethnologist (Wiley), 26 (1), pp 24 - 46

(10) United States Patent and Trademark Office (USPTO), Trademark Status & Document Retrieval (Case: 73253122) https://tsdrusptogov/#caseNumber=73253122&caseType=SERIAL_NO

(11) Devilly, Grant J (2005), *"Power Therapies and possible threats to the science of psychology and psychiatry"*, Australian and New Zealand Journal of Psychiatry, 39 (6): 437 – 445

مبحث: برمجة العقل الباطن خرافة الـ 10% وجناية تغييب الوعي

---

(1) McGovern Institute for Brain Research (MIT), *"Do we use only 10 percent of our brains?"* https://mcgovernmitedu/2022/11/23/do-we-use-only-10-percent-of-our-brains/

(2) Snopes, *"The Ten Percent Myth"* https://wwwsnopescom/fact-check/the-ten-percent-myth/

(3) Thomas Baldwin (1995), *The Oxford Companion to Philosophy* (Ed Ted Honderich), Oxford University Press, p 792
(4) David E Stannard (1980), *Shrinking History: On Freud and the Failure of Psychohistory*, Oxford University Press, Ch 3: The Problem of Logic
(5) Daniel Druckman & John A Swets (1988), *Enhancing Human Performance: Issues, Theories, and Techniques*, National Academy Press (National Research Council committee report)
(6) د فوز بنت عبد اللطيف كردي، *البرمجة اللغوية العصبية (الأصول - المضامين - المخرجات)*

مبحث: خرافة توأم الشعلة تقديس الرذيلة وبوابة التناسخ الكفرية

---

(1) Cunningham, T, & Pringle, G (2021), *"Exploring the transpersonal phenomena of spiritual love relations"*, Journal for the Study of Spirituality https://doiorg/101080/20440243202119554 54
(2) Holloway, M (2011), *"The soulmate: A healing narrative"*, PubMed (Health) https://pubmedncbinlmnihgov/21617004/
(3) Carroll, J S, Galovan, A M, & Schramm, D G (2024), *"The Soulmate Trap: Why Embracing Agency-Based Love is the Surest Path to Creating a Flourishing Marriage"*, ResearchGate https://wwwresearchgatenet/publication/378126079

مبحث: الماندالا دوائر السحر وطلاسم الوثنية تحت غطاء الفن والعلاج

---

(1) الدين في ضوء علم النفس، ص84
(2) القوى الروحية وعلم النفس التحليلي، ص118
(3) ذكريات، أحلام وتأملات، ص205

اختطاف الوحي أبرز تطبيقات العلاج بالطاقة المتعلقة بالقرآن والسنة

---

(1) الطب الصينى ومثله الهندي طب قديم فيه مقومات كثير من العلاج الصحيح المبني على الأعشاب والتدليك وغيره وأكثره مختلط بالدجل والخرافات، وممتزج بعقائد الصين وفلسفة الطاقة عندهم لذا يفسرون أكثر نتائج علاجاتهم بأنها من أثر التشي على الجسم الأثيري والشكرات كما في الإبر الصينية والريفلكسولوجي وغيره
(2) ينظر :"مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية" لعبدالتواب حسين، و"مقدمة بين الطب النبوي والماكروبيوتيك" لأسامة صديق ، و"العلاج بالطاقة" لدلال سعدية
(3) وقد اطلعت هيئة كبار العلماء في السعودية على تفصيل هذا العلاج وبينت بدعيته ودعت مبتكرها للتوبة من هذه الضلالة منشورة على الموقع الإلكتروني: wwwelislamnet
(4) ينظر: "مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية" لعبدالتواب حسين :189
(5) ينظر: تحقيق صحفي بعنوان الحجامة تعود عالميًا مجلة الأسرة، العدد 129، بتاريخ ذو الحجة 1424هـ
(6) من المسلم به إيمانيًا أن القرآن كله شفاء، وأن للاستشفاء به طريقة مشروعة تغني أتباع محمد عن محاولات تطويع هذه الحقيقة الغيبية المطلقة لتوافق ظنيات الفلسفات الملحدة

الفهرس

مقدمة 1
الفصل الأول الباطنية الحديثة عباءة قديمة بثوبٍ عصري 3
الأول أصل نشأة علوم الطاقة وفلسفتها الباطنية.. 7
الفصل الثانى منظومة العلاج بالطاقة تشريح علمي وعقدي.. 8
اليوجا والتأمل السكوني هندسة اختراق الوعي واستجلاب الشياطين.. 8
خرافة الهالة المحيطة بالجسم والشاكرات تشريح الوهم الباطني 11
خرافة العلاج بالألوان ووهم التصوير الطاقي.. 13
الريكي خرافة الاستشفاء الكوني وبوابة الاستحواذ الشيطاني.. 15
عقيدة الشاكرات دوامات الوهم وتأليه الجسد 17
خرافة مسارات الطاقة ووهم الإبر الصينية بين التدليس الطبي والجذور الوثنية.. 19
مسارات الوعي (الأكسس بارز) اختراق العقول واستنساخ السحر القديم 21
قانون الجذب خديعة تأليه الذات والدجل الفيزيائي.. 24
الإسقاط النجمي وتجارب الاقتراب من الموت هلوسات العقل وتلبيس إبليس.. 27
الترانيم الوثنية (مانترا أوم) هندسة الصوت لاستدعاء الشياطين.. 30
(الفينغ شوي) هندسة الوثنية وخرافة الأشكال.. 32
الماكروبيوتيك تجويع الجسد وتسميم العقيدة.. 34
خرافة التخاطر عن بُعد بين وهم العقول ووحي الشياطين 37
البرمجة اللغوية العصبية اختراق اللاوعي وتمرير الوثنية باسم التدريب 39
برمجة العقل الباطن خرافة الـ 10% وجناية تغييب الوعي.. 42
الرسائل المبطنة (السبليمنال) كبسولات السحر السمعي واستدعاء الشياطين.. 44
خرافة توأم الشعلة تقديس الرذيلة وبوابة التناسخ الكفرية 46
خرافة الأرقام الكونية من طلاسم بابل إلى أكواد الوهم المعاصرة 48
قوة الآن تجميد العقل وفخ الاستنارة الوثنية.. 50
الماندالا دوائر السحر وطلاسم الوثنية تحت غطاء الفن والعلاج.. 52
الفصل الثالث اختطاف الوحي أبرز تطبيقات العلاج بالطاقة المتعلقة بالقرآن والسنة.. 54
الخاتمة 56
المراجع والمصادر 57
الفهرس 62